الأنوار ٣٥

مجلة إسلامية، ثقافية، دعوية، علمية

تصدرها جامعة أنوار العلوم خيرآباد، زاهدان، خراسان

السنة الحادية عشرة، الرقم ٣٥، جمادى الأولى ١٤٤٥

واقع غزة أعلى وأخزى

قصتي مع فلسطين

غزة العزيزة

زلزال أفغانستان

مسجد الخالدي أو مسجد الحاج رئيس عبد العزيز الخالدي، شاطئ بحر شمال غزة، بحر حماس

بأمر الله نحصدكم
الإعلام العسكري

في هذا الرقم

- قصتي مع فلسطين / محمد صهيب الندوي ٢
- إيجاد الصحوة في الجيل المعاصر تجاه قبلة المسلمين الأولى من أهم واجبات الدعاة / مجتبى أمتي ٤
- واقع غزة أعلى وأخزى / عبد المجيد خداداديان ٦
- ربيع المؤمن / عبدالغفار ميرهادى ٩
- زلزال أفغانستان / عبد الكريم حسيني ١٢
- وصايا من الشيخ نذير قشلان لطلبة العلم ١٦
- غزة العزيزة / إلياس نظري ٢٠
- يا تلاميذَ غزة علِّمونا / نزار قباني ٢٢
- حاطب الليل / للطالب عبد الله عيدي زادة ٢٣
- منهجية الاجتهاد في العصر الحاضر / قاسم نوري ٢٨
- ما شئت كان! / للطالب علي صفايي ٣١
- بحر من المعاني في حرفين / للطالب أمير نبوي بور ٣٣
- فدى الأقصى / للطالب بنيامين لشكرزادة ٣٤
- مقبل نحو المنون مسرع نحو الجنان / للطالب محمد مياخيل. ٣٥
- رجل أنقذ دولة / للطالب دانيال درويشي ٣٧
- تلألأ الغافقي في الأندلس تلألؤ القمر / للطالب سعيد احمدي ... ٤١
- البعيد الذي كان قريبا / للطالب زبير سليمانبور ٤٤
- الإدمان / للطالب محمدطه دردي زادة ٤٦
- كم من عاشق لا يعشق / للطالب محمد عادل بالش زر ٤٧
- قاموس اللغات ٤٨

مجلّة الأنوار

مجلّة إسلامية، ثقافية، دعوية، علمية
تصدر من جامعة أنوارالعلوم خيرآباد ـ تايباد
المشرف العام:
سماحة الشيخ عبدالمجيد رجبعلي زادة
رئاسة التحرير:
الأستاذ عبدالواحد المؤمني (علي بائي)

من أهمّ شروط النّشر في المجلّة:

- أن يوثّق البحث علميًا ، بذكر المصادر، والمراجع ، الّتي اعتمدها الباحث مع ذكر رقم الآيات القرآنيّة ، وأسماء السّور، وتخريج الأحاديث.
- يفضّل أن يكون البحث يشير إلى تاريخ خراسان ـ رجالها وأماكنها التّاريخيّة ـ ، ويتسم بإثارة الهمم وبعث الرّجاء في النفوس نحو الأهداف المنشودة وإعادة المجد لخراسان.
- أن يهتم البحث بمعالجة القضايا المعاصرة ، ومشكلاتها ، ويسهم بالتحصين الثقافي والتغيير الحضاري، وترشيد الصحوة ، في ضوء القيم الإسلاميّة.
- أن يكون البحث بخط واضح ، ويفضّل أن يكون مكتوبا على آلة الكتابة ، وأن لايزيد عن ثلاث صفحات A4 بفونت 14، وترسل السّيرة الذاتيّة والإجازات العلميّة لصاحب البحث.
- أن يتسم بالأصالة ، والإحاطة والموضوعيّة ، والمنهجيّة.
- أن يبتعد عن إثارة مواطن الخلاف المذهبي ، والسّياسي ، ويوكّد على عوامل الوحدة والاتّفاق.

ترحب المجلة باقتراحات المفكرين و أصحاب اليراع في حركتها نحو إيجاد الوعي و الصحوة الإسلامية في الأمة، و تستدعي مساهمة جميع الكتّاب و أصحاب القلم في دورها الثقافي.

قصتي مع فلسطين

محمد صهيب الندوي (كاتب وباحث هندي)

كانت الشمس تتوهج حرارة حين خطوت إلى قاعة المؤتمرات لمدرستي، فإذا جدرانها تستميلني بما عليها من صور يظهر فيها شيخ ينحني ظهره، أسبل على رأسه غترة بيضاء، وجبينه الواسع يشع نورًا، وكانت ابتسامته الممزوجة بالألم والأمل تحكي رواية نسجت فصولها بالدماء والأشلاء، لمّا سألت عنه فقيل لي: هو الشيخ أحمد ياسين.

كانت البداية ونعم هذه البداية، عرفت فيها أنّ هناك بقعة على أرض العرب تسمّى بفلسطين، وسكانها يُظْلَمون ليلًا ونهارًا، كنت جاهلا عن موقعها الجغرافي، وطبيعة الصراع المحتدم، والمقاومة الباسلة. كان ذكرها يعلو و يطفو، حينما يشتد العدوان الإسرائيلي يتهادى إلى أسماعنا أصوات تحرّض على مقاطعة منتجات الكيان الصهيوني، ونمنع من شرب البيبسي وتناول بعض الوجبات الخفيفة أيّاما، ثم تعود الأمور إلى نصابها.

لمّا ناهزت الـ 12 من عمري، أهدي إلي كتاب يروي حياة الشهيد حسن البنا في قالب روائي، فاستلبّ فؤادي، ونشأ بين جوانحي حبّ متأصّل لهذا الرجل الذي استوفى معاني العظمة ومعايير الرجولة وشروط الإيمان، لم أكن أعرف آنذاك المقاييس التي تقاس بها الشخصيات، وتحدد بها مواضعها في متحف التاريخ، فأعجبني في البنّا وضوح فكرته، وبساطة فلسفته، والهموم التي عششت في قلبه منذ الصغر.

ما جذب عنايتي أنّه أفرغ كل جهوده لردع الصهاينة شذاذ الآفاق، طريدي الأعتاب من التزاحم على فلسطين، واسترخص له كلّ شيء.

كبرت قليلاً وتفرّعت اهتماماتي، وكنت أزجي ساعات في متابعة السياسة الدولية، أشاهد دهاء الأجانب وسذاجة الأقارب، وشعوبًا يطحنها حكّامهم، وحكامًا يستجدون أسيادهم، وحروبًا لا تشيخ، ومطامع لا تنتهي. كانت القضية الفلسطينية تتصدّر، هي محور الأفكار، وموضوع الأسمار، أنظر إليها من زوايا عديدة، أصل خيوط التاريخ بتضاريس الجغرافيا عسى أن أخلص إلى نتيجة.

وتفرجّت على مسرحية التاريخ الحديث، فإذا المسود يصبح سيّدًا، وتتقاسم القوى الاستعمارية البلاد العربية فيما بينها تقاسم الإخوة قِطَع الكعكة، ترسم الحدود المصطنعة، وما قصّة سايكس- بيكو عنكم ببعيدة.

بدا لي وجه النظام العالمي رطيبا مشرقاً وقلبه بائسًا مظلما، ورأيت سدنة الديمقراطية لا يفتؤون من جعجعة حقوق الإنسان، وثرثرة العدالة الاجتماعية وشنشنة المساواة، ثمّ تسيل ثروات الآخرين لعابهم، فتتلاشى القيم وتتميع الثوابت وتتحكّم الغرائز.

طعنت القوى الاستعمارية خنجرًا مسمومًا في قلب العالم الاسلامي حين أباحت للصهاينة الهجرة إلى فلسطين، ووطّأت لهم السبل.

انفجرت ضاحكًا على «وعد بلفور» وداهمني العجب: كيف يعقل منح قوّة استعماريّة موطن شعب آخر للأجانب، إنّه ليس وعداً بل إنه غدرٌ. عرفت فيما بعد أنّ الغرب أصاب هدفين: حاول التخلّص من ثقل اليهود، وصان مصالحه في الشرق الأوسط، فوُلِد كيان وظيفي عام 1948 كما وصفه الدكتور عبد الوهاب المسيري.

ثمّ علمت أنّ هناك شيئا اسمه « الأمم المتحدة»، هي منظمّة تحلم بإرساء قواعد العدل وبسط جناح الأمن في العالم، وهي الملجأ كلّما حزب الأمر بين الدول.

وعلى كلّ دولة أن تستسلم لقراراتها وأحكامها وإلاّ فهي تعتبر مارقة منبوذة، لا تصلح للبقاء في هذا العالم المتحضّر. ولكن شذّ الكيان في فلسطين عن هذه القاعدة، هو يرقص على جماجم أصحاب الأرض، ويذبحهم على مشهد من النّاس ومرآهم، فلا عقوبة تفرض، بل تبرر جرائمه بأدلّة أوهن من بيت العنكبوت.

قد أدركت الآن أنّ النظام السياسي قد عجنت طينته بالازدواجية. ومن أتقن فيها سلست له الأمور.

قد لمست التشابه بين القيادة العربية والدولة الصهيونية، كلتاهما تستظهر بالخارج، حبلهما معقودة بقوى النفوذ الدولي. الأدهى والأمرّ أنّ الاحتلال دائماً يتفنّن في تجميل صورته وإلباسه الشرعيّة، ويتفقّد في البلد المحتلّ خائري العزائم ضعفاء الهمّة، ويجبرهم على إبرام الاتفاقيات، ويكبلهم بألف كبل، ويعدهم وعوداً معسولة، فيخلدون إلى الاستخذاء ويركبهم الهوان، هذا ما حدث مع السلطة الفلسطينية.

هذه النخبة الحاكمة نراها تنال حظوة في المحافل الدولية، وتستضيفها حصون الفكر ومراكز البحث، وتسبغ عليها ألقاباً واسعة، وتُوهمها بأنّها «المعتدلة» ولكنّ الشعب لو خلي سبيله لرماها بعيداً.

من مكائد العدوّ أنّك إن ركعت أمامه قليلا سيُسجدك ولا يدعك حتّى يمرّغ أنفك بالتراب، يدرك أعزّة النفس الأشاوس هذه النقطة كلّ الادراك، ويتماسكون أنفسهم لحظات الوهن، ويثبتون ثبات الرواسي، فتتحطم عليهم أمواج المصائب وترتدّ خاسرة.

وهؤلاء حملة فوانيس الأمل، مناصرتهم ولو بكلمة واجب ديني وخلقي. ولن يحصد مناوئهم إلاّ الخيبة.

قال الرسّام الفلسطينى الشهيد ناجي العلى: أخشى ما أخشاه أن تصبح الخيانة وجهة نظر. وقد تحققت نبوءته، فلم تصبح وجهة نظر بل عقيدة يتشبّث بها بعض المنسلخين عن هويّتهم، رأيناهم يمضغون رواية المحتليّن، ويُجيّشون لها جيوش الإعلام العرمرم، ولا يرقبون في ذلك إلاّ ولا ذمّة.

ما أحنى الرأس خجلًا أنّ فئة من العلماء اتّخِذتم طايا لتمويه بعض الحقائق وسوق الأمور إلى غير مساقها، فتقلقلت ثقة الأمّة ببعض العلماء وساء ظنّهم بهم، وهذا ينذر بالويل العظيم.

ولكن تتعلّق الآمال بهذا الجيل الطموح الثائر الذي ولد بعد أوسلو، وطرق أساليب جديدة للمقاومة، وانتزع النصر انتزاعاً من فكّي هذا العالم الجائر.

قصّة فلسطين هي أروع القصص، تجنح إليها النفس وتستلهم الهمّة والعزيمة.

إيجاد الصحوة في الجيل المعاصر تجاه قبلة المسلمين الأولى من أهم واجبات الدعاة

مجتبى أمتي

إن المسجد الأقصى، وحرمه الشريف، وقبة الصخرة مسرى الرسول -صلى الله عليه وسلم- وموطئ الكثيرين من الأنبياء، ومقبرتهم، والأرض المقدسة التي أخبر الله بها، أرض المنشر والمحشر، ومقتل الدجال وهزيمة الكفار ومحلّ انطلاق موجة الخير جدير بالبحث والمذاكرة في هذه الآونة والأحداث المعاصرة لأهل فلسطين المحتلة.

فضائل بيت المقدس:

لولا لبيت المقدس -بتشديد الدال وتخفيفها- فضيلة سوى إشارة الله تعالى إليه في القرآن في سورة الإسراء لكَفتْه شرفًا وفخرًا، لكنها متواترة كثيرة، وقد قام بالتأليف فيها العلماء القدامىٰ كابن عساكر وابن الجوزي والسمعاني والسيوطي مما يبيّن للمسلم الواعي أهمية هذه البقعة المباركة.

عن أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه- قال قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «لَا تُشَدُّ الرِّحَالُ إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ: المَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَمَسْجِدِي هَذَا، وَالمَسْجِدِ الْأَقْصَى». (سنن الترمذي ح: 326)

وعن أبي ذر -رضي الله عنه- قال: قلت: يا رسول الله أَيُّ مَسْجِدٍ وُضِعَ فِي الْأَرْضِ أَوَّلًا؟ قال: «الْمَسْجِدُ الْحَرَامُ». قلت: ثم أيٌّ؟ قال: «الْمَسْجِدُ الْأَقْصَى». قلت: كم بينهما؟ قال: «أَرْبَعُونَ سَنَةً، وَأَيْنَمَا أَدْرَكَتْكَ الصَّلَاةُ فَصَلِّ، فَهُوَ مَسْجِدٌ». (متفق عليه)

وعن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «من أراد أن ينظر إلى بقعة من بقع الجنة فلينظر إلى بيت المقدس». (إتحاف الأخصا بفضائل المسجد الأقصى للسيوطي)

وقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «إن لله بابًا في سماء الدنياء نحو بيت المقدس ينزل منه كل يوم سبعون ألف ملك يستغفرون الله لمن أتى بيت المقدس فصلى فيه». (المصدر السابق)

وعن وهب بن منبه: أهل بيت المقدس جيران الله، وحقٌّ على الله ألّا يعذب جيرانه. (فضائل بيت المقدس لابن الجوزي)

وعن أبي جريج عن عطاء أنه قال: لا تقوم الساعة حتى يسوق الله خيار عباده إلى بيت المقدس وإلى الأرض المقدسة فيسكنهم إياها. (فضائل بيت المقدس للواسطي)

وقال عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما-: بيت المقدس بنَتْه الأنبياء وعمرتْه وما فيه موضع شبر إلا وقد سجد عليه نبي أو قام عليه ملك؛ فلعل جبهتك أن توافي جبهة ملك أو نبي.

وقال مقاتل بن سليمان: ما فيه موضع شبر إلا وقد صلّى عليه نبي مرسل أو قام عليه ملك مقرّب.(إتحاف

الأخصا بفضائل المسجد الأقصى للسيوطي)

ولا غرو! لأن الأنبياء صلّوا واقتدوا بالنبي -صلى الله عليه وسلم- في ليلة المعراج. ويُروى عن معاذ أنه أتى بيت المقدس وأقام به ثلاثة أيام ولياليها يصوم ويصلي، فلما خرج منه وكان على الشرف التفت إليها ثم أقبل على أصحابه وقال: أما ما مضى من ذنوبكم فقد غفر الله لكم، فانظروا ما أنتم صانعون في ما بقي من أعماركم. (موسوعةبيت المقدس و بلاد الشام، أحمدبن سليمان بن أيوب)

والأرض المقدسة التي ذكرها الله في القرآن العظيم فقال: «إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ» هي أرض بيت المقدس، وكلّم الله تعالى موسى في الأرض المقدسة، وقال مقاتل: وتاب الله على داود وسليمان في أرض بيت المقدس، وردّ الله على سليمان ملكه في بيت المقدس، وبشّر الله زكريا بيحيى في بيت المقدس، وتسورت الملائكة على داود المحراب في بيت المقدس، وسخّر الله لداود الجبال والطير في بيت المقدس، وكانت الأنبياء عليهم السلام يقرّبون القرابين ببيت المقدس، وأوتيت مريم فاكهة الصيف في الشتاء وفاكهة الشتاء في الصيف ببيت المقدس، وأنبت الله لها النخل ببيت المقدس، ووُلد عيسى عليه السلام ببيت المقدس، ورفعه الله إلى السماء من بيت المقدس، ويغلب يأجوج ومأجوج الأرض كلّها إلا بيت المقدس، وأصى إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام لما ماتا أن يُدفنا ببيت المقدس، وأوصى آدم عليه السلام لما مات بأرض الهند أن يدفن في بيت المقدس، وماتت مريم عليها السلام ببيت المقدس، وتكون الهجرة آخر الزمان إلى بيت المقدس، ورفع التابوت والسكينة إلى بيت المقدس، وصلّى النبي -صلى الله عليه وسلم- مدة من الزمان إلى بيت المقدس، وركب البراق إلى بيت المقدس، وهبط به من السماء إلى بيت المقدس، والمحشر والمنشر إلى بيت المقدس، وياتي الله في ظل من الغمام والملائكة إلى بيت المقدس، وينصب الصراط على جهنم إلى الجنة بأرض بيت المقدس.

أهمية بيت المقدس في آخر الزمان

لا شك أن أروع المعارك بين الحق والباطل المؤدية إلى هزيمة الكفار والدجال ستكون في باب لدّ بفلسطين؛ لذلك وجّهت الوصايا النبوية إلى الهجرة إليها؛ إذ ينبثق الحق من جديد فيها، ويملأ الأرض قسطا وعدلا كما مُلئت ظلمًا وجورًا. قال النبي -صلى الله عليه وسلم- لأبي عبيدة الجراح رضي الله عنه: «النجاء النجاء إلى بيت المقدس اذا ظهرت الفتن» قال: يا رسول الله! فإن لم أدرك بيت المقدس؟ قال: «فابذل مالك واحرز دينك» (إتحاف الأخصا بفضائل المسجد الأقصى للسيوطي)

وبشّر النبي -صلى الله عليه وسلم- بفتح بيت المقدس والخروج من أيدي الصهاينة اذ قال عليه الصلاة والسلام: «تَخْرُجُ مِنْ خُرَاسَانَ رَايَاتُ سُودُ، لَا يَرُدُّهَا شَيْءُ حَتَّى تُنْصَبَ بِإِيلِيَاءَ» (سنن الترمذي، أبواب الفتن، ح: 2269)

وإيلياء هي بيت المقدس، ووصّى النبي -صلى الله عليه وسلم- بلزوم الشام إذ قال عليه الصلاة والسلام: «عليكم بالشام» (مسند أحمد) وبيت المقدس بها.

وقال علي رضي الله عنه لصعصعة «نعم المسكن عند ظهور الفتن بيت المقدس، القائم فيها كالمجاهد في سبيل الله وليأتين على الناس زمان يقول أحدهم: ليتني في لبنة في بيت المقدس» (إتحاف الأخصا بفضائل المسجد الأقصى للسيوطي)

إسرائيل غاصبة لا مالكة:

قصة هرتزل المؤسّس للصهيونية واقتراحه شراء أراضي من فلسطين للسلطان عبد الحميد الثاني، وردُّ السلطان عليه ردًّا عنيفًا دالّةُ على أن الصهاينة اشترت 5٪ من الأراضي، وفي عام 1948م توسعت بمقدار 95٪ ظلما وغصبا، ولا تزال تتوسع بشكل مرموز متجاوزة القوانين العامة للدول، ومن المحتوم أن إسرائيل تريد التمكن في الأرض المقدسة -بين نيل وفرات- لظهور نبيها المزعوم المسمى في الأحاديث عند المسلمين بالمسيح الدجال بأي حيلة من الحيل مهما بذلت في سبيل ذلك الغالي والرخيص، وداست الكرامات، وهتكت الأعراض، وقتلت الأنفس، كما نشاهد اليوم في غزة؛ لأنها ترى هذا الاحتلال جزءًا من عقيدتها، وسرًّا لنجاحها؛ فكون إسرائيل غاصبة محتلة من المبرَّرات واليقينيات التي هي معترفة به نفسها.

واقع غزة أعلى وأخزى

عبد المجيد خدادادیان

صارت قطاع غزة اليوم حديث البلاد، فالناس يغدون معها ويروحون، ويخوضون فيها ويغوصون، هلك فيها البعض وسلم بعض، وقد كنا نسمع قبل أيام ممن كان ينتقد المجاهدين: لماذا بدأوا هذه الحرب التي ليست لها نهاية حميدة؟!؟! لماذا ألقوا بأيديهم إلى التهلكة؟!! أما كان لهم أن يلتزموا عقر دارهم ويأكلوا ويناموا وادعين ولا قصفَ ولا هدمَ ولا صاروخَ؟!! كيف خاضوا في معركة فاشلة قبل البداية؟!

والأعجب من ذلك أن نسمع بعض المسلمين يرون إسرائيل مظلومة ويبرّرون ما ترتكب من الجرائم!! كيف لمسلم أن يقول هذا؟! كيف لمسلم أن لا يعرف اليهود بعدما صرّح الله بخبثهم وشرارتهم ومكرهم في مواضع عديدة، إنهم لم يرحموا أنبياء الله، أطهر خلقه، فقتلوا منهم الكثيرين، وما تركوا شرًّا إلا أتوه ولا فسادًا إلا دخلوا أبوابه، فعجبًا لمسلم بات يجترّ ما قدّم له اليهود والصهيون ووقعوا في فخّهم وصاروا -حسب تعبير أحد العلماء- اليهود الوظيفي، أي: من ينشر السياسات اليهودية ويدعمها ويدافع عنها،

فيقومون بما يخدم مصالح اليهود دون شعور وتعمّد منهم، فتراهم يتفوّهون بآراء تسوّغ جرائم بني صهيون كأنهم موظّفون وظيفتهم تعزيز سياسات الاحتلال الصهيوني. ألا يدعو إلى العجب أن يكون السفّاك الطاغية «هتلر» أعرف منهم باليهود حين قال: «قد قتّلت اليهود تقتيلًا وتركت منهم حثالة لتعرف الأجيال القادمة أني لماذا قتلت منهم من قتلت».

إني لا أبرّر ما فعله «هتلر» ولكنه عرف خبثهم وفساد طينتهم وعقيدتهم، وأما السؤال الذي يطرح نفسه على ساحة الواقع ويضع أمامه العديد من علامات الاستفهام أنه كيف لم يفقه حتى الآن بخبث اليهود المسلم الذي بين يديه كتاب الله الذي هو الأصدق قيلًا وهو الأصدق حديثًا؟! ولا سيما هذه الطائفة منهم: الصهيونية التي لم تكفّ عن أي فساد وشرّ لتملك أرضًا تؤوي إليها اليهود، فكم قتلت وكم أكلت وكم فجّرت وكم هدّمت وكم نقضت عهدًا وكم أراقت من دماء الأبرياء حتى بنت دولتها على أشلاء الأطفال والطفلات، وقامت على قدم وساق على ظهر أمة مظلومة مُداسة منتهكة، وبنت مجدها -الموهوم- على قهر وقمع أناس طاهرين ورثوا أرضهم وديارهم كابرًا عن كابر:

فإن الماء ماء أبي وجدي...وبئري ذو حفرت وذو طويت

إن اليهود لم يتركوا حتى التجاسر على الله وقالوا: «إِنَّ اللهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ».

ما لكم تتحرَّون الصدق في غير مظانه؟!! أحقّا ترجون أن يبادلكم الصدقَ من أنكروا ما كانوا يرتّلونه في كتبهم ليل نهار؟! من كفروا بالحق بعد ما عرفوه؟! من حرّفوا كلام الله؟! من سبّوا وأهانوا وقتلوا أنبياء الله؟! من خذلوا موسى عليه السلام وهو أبرّ بهم من آباءهم وأحنّ عليهم من أمهاتهم، موسى الذي قام وحيدًا في وجه أكبر طاغية عرفه التاريخ يدافع عن حريتهم وكرامتهم؟! فكيف تتوقع أن يراعوا العدل والإنصاف والإنسانية مع مسلمي فلسطين؟!! ألم تسمع الحبر اليهودي يحكم بقتل المسلمين جميعًا ويخاطب جنود اليهود ويحرّضهم على عدم الرأفة بالمسلمين جميعا، نساءهم وشيوخهم وأطفالهم قائلًا: ليس هناك رحمة! لعلك تظن أنك ترحم على طفل، ولكنك في الحقيقة ظالم في حق ضحايا هذا الطفل الذي سيكبُر ويكون إرهابيًّا، ثم أخذ يسرد قواعد الحرب مستدلًا بما جاء في التوراة: لا تسمح لأي شخص بالبقاء! لا شيء، لا رحمة! لا تبق منهم أثرا، اقتلهم جميعا: الرجال والنساء والأطفال! قد كنا نسمع أساطير من وحشية جنود المغول وأنهم كانوا بشرًا يفترسون البشر دون رأفة فأصبحنا نرى النسخة الجديدة منهم في تصميم أكثر فتكًا ودمارا وشراسة وحشية وأقل رحمة ورأفة وإنسانية.

ألم تشاهد المقطع الذي يصوّر الخبير اليهودي الذي يغضب حينما يُسأل عن قصف المستشفى وقتل الأطفال: لا تُعد عليّ هذا السؤال! هذه آخر مرة تخاطبني فيهم وتسألني عنهم! إنهم إرهابيون ونقتلهم جميعا! لا تكلّمني فيهم مرة أخرى!

إن شناعة جرائم اليهود بلغت حدًّا أيقظت ضمائر الغربيين فصاروا يظهرون مواساتهم مع فلسطين وبغضهم لليهود والصهيون ويوثّقون ذلك في مقاطع كثيرة وينشرونها عبر وسائل التواصل، ويغضبون ويثورون ويملأون الشوارع تنديدا للجرائم التي تمارسها اليهود في أرض فلسطين ضد شعبها الشريف المضطهد، ومن جانب آخر أصبح إيمان الشعب الفلسطيني -القوي بالله الذي لا تزعزعه القنابل والصواريخ ولا تخدشه الدبابات والمدرّعات- وصمودهم ورضاهم بقدر الله وترددهم للشعارات الدينية رمزًا للحرية ونموذجًا للإيمان الأسطوري الذي طالما نقرأ عنه في الكتب، وسحرًا يأسر أفئدتهم ويحمل المنصفين والمحايدين من الكفار على البحث عن مصدر هذا الشحن العظيم الذي لا ينفد، فأخذوا يدرسون القرآن وأسلم منهم الكثير.

قد كتب العلماء سابقا قبل أن يبلغ السكين العظم -قبل أن تبلغ قضية فلسطين ما بلغت- لإقناع المسلمين بأن قضية فلسطين لا تخص العرب، بل هي قضية المسلمين الأولى جميعًا، ولكنها الآن ما عادت قضيةً للمسلمين فحسب، بل صارت قضية إنسانية بالدرجة الأولى، وعالمية بالطبع، وبناءً على ذلك نرى آثارها في عرصات ومنصات عالمية.

فقضية فلسطين لم تعد تحتمل التغافل والتجاهل، إنها استقطبت انتباه الجميع، وجعل الجميع يتكلمون

عنها ويبحثون عن حل لها.

ثم إن واقع فلسطين كشف الكثير من الحقائق وأثبتها وأظهرها للجميع، فواقع فلسطين اليوم مثّل همجية اليهود ووحشيّتهم وخبثهم بشكل لا يقبل الإنكار أو التجاهل، وصوّر صفاء عقيدة أهل فلسطين وثباتهم على عقيدتهم وصمودهم بصفتهم مسلمين، واقع فلسطين كشف القناع عن القنوات التي كانت تدعي صدقها مع مخاطبيها، فعرف الناس ازدواجيتها في معاييرها وخداعها لمخاطبيها وإخلاصها لليهود وأمريكا، فانكشف وجهها الخبيث للجميع، وعرفوا أنها تخدم دوَلًا معيّنة وتخلّط الحابل بالنابل والغث بالسمين لتروي للناس رواية مزوّرة مدسوسة متنائية عن الواقع محرّفة له، وذلك يظهر بتحوّل اتجاهها 180 درجة في الأحداث الأخيرة المتعلقة بفلسطين، فإنها بعد ما كانت تقدّم حياة الغربيين -لا سيما المشاهير منهم- كنموذج يُحتذى به في كل شيء أصبحت تفنّد الحشود العظيمة من المحتجّين ضد الكيان الصهيوني التي قد يربو عددها على مئة ألف.

واقع فلسطين أماط اللثام عن المنظمات التي كانت تدعي أن الدفاع عن حقوق الإنسان واستعادة كرامته رأس أولياتها ومنشودها الأول، فعرف الناس جميعًا أنها شيطان أخرس وأنها دمية متحركة يعبث بها صانعوها كما يشاءون وليس لها حياة ولا استقلال ولا خيار، وأن خيوطها في أيدي أمريكا تحركها كما تشاء وتجعلها تنطق ما تهمس في أذنيها، فهي عمياء عن كل حقيقة لا توافقها مصالحهم ولو كانت أظهر من الشمس في كبد السماء، وخرساء عن كل واقع ولو كان الحجر والمدر يتكلم به.

واقع فلسطين أخزى كل من خذله، كل من كان يدّعي حماية فلسطين فلما جدّ الجدّ وحمِي الوطيسُ تخلّى عنها وعن أهلها ودخل جحوره ونعم ما قاله الرب تعالى: «وَإِن يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنبَائِكُمْ».(أحزاب:20)

ولله درّ الشاعر نزار قباني:

«قد لزمنا جحورنا وطلبنا منكم أن تقاتلوا التِّنّينا»

واقع فلسطين أعلى من بذل ما بوسعه لنصرة أهل وجاهد وقاتل اليهود بكل ما كان يملك، فواقع فلسطين ميّز بين هذين الفريقين وميّز الخبيث من الطيب.

عجبًا لأمر بعض المسلمين أنهم صاروا أحر من الجمر، فهم إذا تكلموا عن أهل غزة وفلسطين تحمّسوا في الثناء على شجاعتهم وصبرهم وتكاتفهم وشموخهم ولم يتركوا عبارة لمدحهم إلا استخدموها، ولكنهم إذا ذهب الحديث إلى الجهاد الذي يجري في فلسطين ندّدوه وأدانوه وسمّوه انتحارا ومخاطرة كبيرة غير معقولة لا جدوى فيها. فهل أنتم أرحم بأهل فلسطين من أنفسهم! إنا والله لم نسمعهم يشكون وينتقدون المجاهدين! بل على العكس منه رأيناهم يفدّونهم بأرواحهم، بل رأينا كلهم مجاهدين وإن لم يغطّوا وجوههم ولم يلبسوا الأزياء العسكرية ولم تكن في أيديهم أسلحة مضادة للدبابات، فهم يفيضون حماسة وإن لم يكونوا من أعضاء الحماس، أليس أحرى لكم أن تقتدوا بأهل فلسطين في هذا أيضًا، الذين أصبحوا يحملون أعباء أمة بأكملها وقاموا وحدهم أمام طواغيت العصر جمعاء بعد أن عاشوا سنين مسجونين بأرضهم في أكبر سجن مفتوح في العالم، الذين تجرعوا الموت في كل يوم مئة مرة.

إنه والله لا تبرأ ذمتنا بإدانة الحركة الجهادية الجارية في فلسطين، وإن لم يكن الجهاد شرعه الله لطرد اليهود الغاصبة المحتلة وأمثالها عن بلاد المسلمين فمتى الجهاد؟! أجيبوا وأفتوا.

عجبا لقلوب إذا استُفتيت أفتتْ بما يكوي قلوب المسلمين!!

اللهم كن لأهل غزة عونًا وسندًا فقد خذلهم أولى الناس بهم! اللهم لا ناصر لهم إلا أنت! اللهم قد برد الدم في عروق المسلمين فصاروا كالأموات فأحيهم قبل أن تقتل أعداءهم! اللهم اجمع شملهم قبل أن تفرق جمع أعداءهم! اللهم ثبّت أقدامهم قبل أن تزلزل أقدام عدوهم! اللهم إن كنا نبخل عنهم بدموعنا فكيف نبذل لهم دماءنا؟!؟! اللهم يا محوّل الأحوال حوّل حالنا. اللهم إن لم توحّد غزة وقبلة المسلمين الأولى ومسرى الرسول صلى الله عليه وسلم كلمتنا فماذا عساه يوحّدنا؟!!!

ربيع المؤمن

عبد الغفار ميرهادي

إن أفضل الصلوة بعد المكتوبات هي صلاة التهجد -قيام الليل- ويكفي لأهميتها وفضيلتها توكيد القرآن ومواظبة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم عليها، وكان يؤديها سلفنا الصالح والصالحون من الأمم الماضية، وإنها ثروة عظيمة وسعادة كبيرة لمن رُزقها ووُفّق لها، وخسارة لمن حُرمها.

قال الفضيل رحمه الله: إذا لم تقدر على قيام الليل وصيام النهار فاعلم أنك محروم مكبّل كبّدتك خطيئتك.(صفة الصفوة)

ومن سعادة المرء أن يجد نفسه جوف الليل قائما، راكعا، ساجدا، ذاكرا، مستغفرا، تاليا كتاب ربه، رافعا يديه يدعو الله تعالى خوفا وطمعا، تذرف عيناه، وله أزيز كأزيز المرجل، ويشعر لذة عبادة ربه ورحمته وسكينته عليه، وهي لذة لا يعادلها شيء في هذه الحياة.

وفيما يلي شيء عن فضلها وأهميتها وفوائدها، وبعض الأسباب التي تعين عليها، وذكر بعض الأقوال والأحوال حولها، كتبتُها وجمعتها مصداقا لقوله: «الدال على الخير كفاعله» ورجاء التوفيق لها.

بعض الآيات والروايات في ذلك:

هناك آيات وأحاديث تتحدث عن قيام الليل، وتمدح القانتين الساجدين جوف الليل، قال الله الرحمن في وصف عباده: «وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا» وأيضا قال سبحانه: «تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ» وأيضا قال: «كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ»

وقوله تعالى مخاطبا نبيه صلى الله عليه وسلم: «وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا».

وقد حثّ عليها الرسول صلى الله عليه وسلم كثيرا بأساليب مختلفة، وذكر أجرها العظيم، منها قوله صلى الله عليه وسلم: « أفشوا السلام وأطعموا الطعام وصِلوا الأرحام وصَلّوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام».(الترمذي:2409)

وقال أيضا: إذا أيقظ الرجل أهله من الليل فصلّيا أو صلى ركعتين جميعا كُتبا من الذاكرين والذاكرات.

(أبوداود:1114)

وعن سالم بن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما عن أبيه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «نِعم الرجل عبدالله لو كان يصلي من الليل». قال سالم: فكان عبدالله بعد ذلك لا ينام من الليل إلا قليلا. (متفق عليه)

يقال إنها كانت فريضة قبل الصلوات الخمس، ثم نسخت فرضيتها بها، واختلف العلماء هل هي من سنن الهدى المؤكدات، أو المستحبات؟ قال صاحب التفسير المظهري: المختار عندي أنها من سنن الهدى.(انظر التفسير المظهري في سورة المزمل، ومعارف القرآن في سورة الإسراء).

بعض الفوائد لها:

ولصلاة التهجد فوائد أخروية، ودنيوية، منها: التقرب إلى الله، والتكفير للسيئات، والنهي عن الإثم، وصحة الجسد. كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم، ومقرّبة إلى ربكم، ومكفّرة للسيئات، ومنهاة عن الإثم، ومطردة للداء عن الجسد».(الترمذي:3472)

إني أعرف رجالا تجاوزوا الثمانين والتسعين من أعمارهم وهم سالمون يختلفون إلى المساجد وحدهم دون اتكاء لأحد، سمعت أحدهم قال: منذ ستين سنة أقوم في الليل حضرا وسفرا.

زرت الشيخ القريشي بمدينة تالش قبل أشهر، وهو أحد كبار العلماء، وصاحب همة عالية، وصحة جيدة، وله نشاطات كثيرة، وهو الآن في الرابع والثمانين من عمره، ولا يزال نشيطا، سألته عن سرّ نشاطه وصحته، فأجاب: إنه يرجع إلى قيام الليل و...

وقت إجابة الدعاء:

إن من أفضل الأوقات لإجابة الدعاء آخر الليل.

وقد ورد في حديث عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له». (متفق عليه)

وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال: «قيل يا رسول أي الدعاء أسمع؟ قال: جوف الليل الآخر ودبر الصلوات المكتوبات».(الترمذي)

وعن جابر رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إن في الليل ساعة لا يوافقها رجل مسلم يسأل الله فيه خيرا من أمر الدنيا والآخرة إلا أعطاه إياه وذلك كل ليلة».(رواه مسلم)

عدد ركعات صلاة التهجد:

اختلفت الروايات في وصف عدد الركعات لصلاة النبي صلى الله عليه وسلم بالليل، في رواية تسع ركعات مع الوتر، وفي أخرى إحدى عشرة ركعة معه، وفي أخرى ثلاث عشرة ركعة معه. ورد في البخاري عن مسروق قال: سألت عائشة رضي الله عنها عن صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بالليل، فقالت: سبع وتسع وإحدى عشرة سوى ركعتي الفجر.(البخاري/ كتاب التهجد/ح:1139) وروي: 15 و17 ركعة أيضا.

ذكر الأستاذ المفتي محمد تقي العثماني حفظه الله: إن وجه الاختلاف في عدد الركعات يرجع إلى اختلاف أحواله صلى الله عليه وسلم، ولا شك أن العمل بكل واحد من هذه الروايات جائز.(درس ترمذى2/199) ولا بأس إن زاد أحد على هذا العدد، أو نقص منه، ولكن عمله صلى الله عليه وسلم في الأغلب على إحدى عشرة ركعة أو تسع ركعات.(الورد الشذي ص:105 أمالي شيخ الهند محمود الحسن رحمه الله).

إنها حكاية عن العشق بالله:

والذي يقوم في الليل ويتحمّل المشقة، ويترك لذة النوم إن عمله هذا حكاية عن عشقه بربه. قال الشاعر الفارسي أبوسعيد أبوالخير:

شب خيز كه عاشقان به شب راز كنند

گرد در و بام دوست پرواز كنند

هر جا كه درى بود به شب بر بندند

الا در عاشقان كه شب باز كنند

يعني: قم في الليل فإن العشّاق يناجون فيه/ ويطيرون نحو الحبيب فيه

يغلق جميع الأبواب في الليل/إلا باب العشاق حيث يفتح فيه

يقول الدكتور محمد إقبال اللاهوري -وكان شديد المحافظة على ذلك، كثير الاهتمام به-: خذ مني ما شئت يا رب، ولكن لا تسلبني اللذة بأنَة السحَر، ولا تحرمني نعيمها.

وكان يقوم في الليل في إنجلترا موسم الشتاء رغم برودتها الشديدة، إنه يقول بالأردية:

زمستاني هوا ميى گر چه تهى شمشير كى تيزى نه چهوطى

مجه سى لندن ميى بهى آداب سحر خيزى

أي: رغم أن شتاء إنجلترا كان قارسا جدا، وكان الهواء البارد يعمل في الجسم عمل السيف، ولكني لم أترك في لندن التبكير في القيام.(روائع إقبال للندوي

رحمه الله).

أرسل السلطان سنجر إلى أحد أولياء الله ليقسّمه ولاية نيمروز، فردّ عليه:

زان وقت كه يافتم خبر از ملك نيم شب

من ملك نيمروز به نيم جو نمى خرم

يعني أن قيام الليل سلطنة كبيرة، ومنذ أُخبرت عليه فإني لا أشتري ملك نيمروز بنصف حبة من شعير.

ربيع المؤمن:

إن موسم الشتاء -ونحن الآن فيه- يطول فيه الليل ويقصر النهار، وذلك غنيمة يغتنمها صاحب التوفيق بإكثار الطاعة والعبادة من القيام في الليل والصوم في النهار، وقد عُبّر عنه بربيع المؤمن، كما ورد في حديث: «الشتاء ربيع المؤمن، طال ليله فقامه وقصر نهاره فصامه». (شعب الإيمان للبيهقي 3940) وقال ابن مسعود -رضي الله عنه-: «مرحبا بالشتاء تنزل فيه البركة ويطول فيه الليل للقيام، ويقصر فيه النهار للصيام» (لطائف المعارف لابن رجب) .

وقال ابن عمر رضي الله عنهما: «الشتاء غنيمة العابدين».(حلية الأولياء 1/51)

يستطيع كلنا أن يقوم في الليل في هذا الموسم إن لم يقدر طول السنة.

ومن المؤسف جدا أن كثيرا من الناس يقضون ليلهم بزيارات غير مفيدة، ومشاهدة برامج التلفاز من الأفلام والمسلسلات، وألعاب الرياضة، والغوص في الجوّ الاستعاري، ويفوت عنهم صلاة الفجر فضلا عن التهجد.

بعض أقوال وأحوال العلماء حول قيام الليل:

كان أبوحنيفة رحمه الله يقوم نصف الليل فقيل: هذا الرجل يقوم الليل كله، فكان بعد ذلك يقوم الليل كله.

وقال الربيع: بِتّ في منزل الشافعي رحمه الله ليالي كثيرة، فلم يكن ينام من الليل إلا يسيرا.

قال أبو سليمان الداراني: أهل الليل في ليلهم ألذّ من أهل اللهو في لهوهم، ولولا الليل ما أحببت البقاء في الدنيا.(نافلة الليل 37-38)

ما ورد في ترك الصلاة بالليل:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم إذا هو نام ثلاث عقد، يضرب على كل عقدة: عليك ليل طويل فارقد. فإن استيقظ فذكر الله تعالى انحلت عقدة، فإن توضأ انحلت عقدة، فإن صلّى انحلت العقد كلها، فأصبح نشيطا طيب النفس، وإلا أصبح خبيث النفس كسلان.(متفق عليه)

وعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: ذُكر عند النبي صلى الله عليه وسلم رجل نام ليلة حتى أصبح! قال: «ذاك رجل بال الشيطان في أذنيه، أو قال أذنه».(متفق عليه)

وإن كان المرء يواظب عليها ولكنه فات عنه لتعب أو غلبة نوم أو عذر آخر يقضيها في النهار. يؤيده حديث: «من نام عن حزبه أو عن شيء منه، فقرأه فيما بين صلاة الفجر وصلاة الظهر كتب له كأنما قرأه من الليل».(صحيح مسلم)

بعض الأسباب التي تعين وتمكّن من قيام الليل:

هناك أسباب تعين على قيام الليل، منها: العلم بفضل قيام الليل، والابتعاد عن المعاصي، وأن لا ينام إلا بنية القيام، وأن يستعين بالقيلولة على قيام الليل، كما ورد في حديث رواه ابن ماجة: «استعينوا بطعام السحر على صيام النهار والقيلولة على قيام الليل»، وأن لا يكثر الأكل والشرب، وأن ينام مبكرا. (نافلة الليل،118).

الكلمة الأخيرة:

إن لصلاة التهجد، والقيام جوف الليل أثرًا كبيرًا في إصلاح الفرد، وحبه عند الله، ووصوله المنزل المقصود.

قال الشاعر العربي:

يا نائما بالليل كم ترقد

قم يا حبيبي قد دنا الموعد

وخذ من الليل أوقاته

وِردا إذا هجع الرُقّد

من نام حتى يقضي ليله

لم يبلغ المنزل أو يجهد

وقال الشاعر المشهور إقبال اللاهوري:

عطار هو رومى هو غزالى هو

كُچه هاته نهيى آتاهى بى آه سحر گاهى

أي: «كن فريد الدين العطار في معرفته، وجلال الدين الرومي في حكمته، أو أبي حامد الغزالي في علمه وذكائه، وكن من شئت في العلم والحكمة، ولكن لا ترجع بطائل حتى تكون لك أنة في السحر».(روائع إقبال)

زلزال أفغانستان

عبد الكريم حسيني

الحمد لله فارج الهمِّ وكاشف الغمِّ، مجيب دعوة المضطرّين، وجابر كسر المنكسرين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحَده لا شريكَ له، يثيب الصابرين ويجزي الشاكرين، وأشهد أنّ سيّدنا ونبيَّنا محمّدًا عبد الله ورسوله قدوة الصالحين وإمام المخبتين، اللّهمّ صلِّ وسلِّم عليه وعلى آله الطاهرين وصحبه الطيبين والتابعين ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

أما بعد:

تابعنا وإياكم أخبار ومشاهد الزلزال الذي ضرب بعض المدن والقرى في أفغانستان الشهر الماضي؛ زلزال مدمر بلغت قوته 1/6 درجات، وتجاوز عدد قتلاه خمسمائة وألف قتيل، أما الجرحى فقد تجاوز عددهم ألفي جريح، ومع كثير من المشردين بسبب كثرة الزلازل في مدينة هرات وحواليها حسب آخر المعلومات الرسمية.

مشاهد محزنة، لمدن وبلدات دمّرت كليًّا، كارثة عظيمة مع هزات قوية وطويلة.

تحرك الزلزال، فأحال الأمن خوفًا والحياة موتًا والعمران خرابًا، وفي مثل طرفة عينٍ إذا بألوفٍ من القتلى، وألوفٍ من الجرحى، وملايين من المشرَّدين، وهرع الناس حتى خُيّل إليهم أنَّ القيامة قامت، فهذه أمٌّ فقدت ابنها، وذاك ابنٌ ينادي أمَّه، ومشاهد دامية يعجز البيان عن وصفها، فإنَّا لِله وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ.

دمّر الزلزال قرى بأكملها في شمال غرب أفغانستان، وكان أكثر المشاهد مأساوية: بكاء شيخ فقَدَ عشرة أعضاء من أسرته، وطالب علم صغير يبكي على أربعة عشر نفرا من أسرته ماتوا تحت حطام منازلهم وجثة أب جعل بنته في حضنه تحت الأنقاض.

وبعد وقوع الكارثة بدأت المؤسسات الدولية والخارجية خصوصا من بلاد خراسان بجمع مساعدات

مالية وعينية، والإسعافات الأولية عاجلة وإرسال مُعَدّات وفرق إغاثة.

وقد بدأت بعض الدول الإسلامية بإرسال معونات عينية ومالية، وكانت أعلى هذه التبرعات من بلدنا إيران، وفي مقدمتها بلادنا المباركة في خراسان، ومما يذكر فيشكر ما وجه به خطيبنا الفقيد لمسجد مالك الملك في تايباد مولانا قربان الحيدري -تغمده الله بغفرانه- جميع الجهات المعنية بالمسارعة إلى عمليات الإغاثة لمنكوبي الزلزال، لتقديم المساعدات العاجلة من أدوية وخيام وبطانيات ومواد غذائية، لتلبية الاحتياجات الإنسانية للمتضررين من الزلزال، وقد ذهب رحمه الله بنفسه مع حملة التبرعات الشعبية إلى أفغانستان لمصلحة الضحايا وكان همه وغمه إغاثة إخواننا وإرسال التبرعات لهم إلى آخر عهده بالدنيا.

ولكن مما يثير العجب أن بعض أهل العلم قالوا: إنه أمر طبيعي ولا يعتقدون بأن أخذ الله أليم شديد وأن الله هو الذي خلق الطبيعة ويقلبها كيف يشاء.

فإذن لنا مع هذا الحدث عدة وقفات:

الوقفة الأولى: زلزلها الله جل جلاله:

إنّ المسلم اللبيب ليقف أمام هذه النوازل موقف التفكّر والاعتبار بتذكّر قوّة ربّه الأعلى وقدرته سبحانه، تلك القوة والقدرة التي لا تماثلها أيّ قوّة. قال تعالى: «مَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ» (الحج: 74)، وقال جلّ وعلا: «إِنَّ اللهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ» (الذاريات: 58).

الزلزال جند من جنود الله، وعذاب من عذاب الله، يسلّطه على من يشاء، لا يستطيع المخلوق الضعيف أن يقف أمامه مهما بلغت قوته.

عندما تتحرَّك الأرض بصوتها المخيف ودويِّها الرهيب، وتتساقط الجدران وسقف الأبنية، ويصبح أعلى الأرض أسفلها، في تلك اللحظة يشعر الإنسان بجلال الله وعظمته وسلطانه وجبروته، فيمتلىء قلبه خوفًا من ربّه، وخضوعًا وإخباتًا إليه، و محبّةً ورجاء لما عنده، وطاعةً له ، ونفرةً من معصيته.

وإن مما يُؤسَف له ويدعو إلى العجب، ما درجت عليه أكثر وسائل الإعلام من إظهار هذه الكوارث على أنها ظواهر طبيعية، وأنّ سببها مجرد تصدّع في باطن الأرض ضعُفت القشرة عن تحمّله. ونحن نقول لهؤلاء: هذا الكلام صحيح، لكن قولوا لنا من الذي قدّر لهذا الصدع أن يحدث؟ و من الذي أضعف قشرة الأرض عن أن تتحمّله؟ أليس هو الله؟! و هو سبحانه أخبر عن نفسه أنه يفعل ذلك بسبب ذنوب ومعاصي بني آدم، ومن أصدق من الله حديثًا.

وما أشبه حال هؤلاء المكابرين بحال من ذكرهم الله في كتابه العزيز، فإذا أصابهم الكرب والضرّ قالوا: «قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ» (الأعراف: 95)، فهذا أمر طبيعيّ لا علاقة له بذنوب العباد، فيواصلون في إعراضهم وفجورهم ويقولون: «إِنْ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ» (الشعراء: 137).

الوقفة الثانية: اقتربت الساعة:

إنّ من تقدير الله تعالى الحكيم الخبير أن حَجَب العلمَ بوقت قيام الساعة عن جميع خلقه، واختصَّ به في علمه، وجعله من غيبه كما قال سبحانه: «يَسْأَلُونَكَ عَنْ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ» (الأعراف: 187) وقال عزَّ من قائل: «يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنْ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا» (الأحزاب: 63) غير أنّ النبيّ صلى الله عليه وسلم أخبر بما جاءه من ربّه من أماراتها وأشراطها، وكان مما أخبر به من أشراط الساعة كثرة الزلازل التي تكون في آخر الزّمان كما جاء في الحديث الذي أخرجه البخاريّ في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تقوم الساعة حتى يقبض العلم وتكثر الزلازل» (صحيح البخار ،ح :1036).

ولقد كثرت الزلازل المروِّعة، وتتابع وقوعها في سنوات متقاربة، كما أخبر بذلك الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم، والله المستعان.

الوقفة الثالثة: حكمة بالغة:

لماذا يقدر الله وقوع هذه الزلازل و الكوارث؟ وما الحكمة من وقوعها في حق شعب مسلم؟

لا شك أن الله تعالى لا يخلق شرًّا محضًا، فكم من شرٍّ في نظر الناس يحمل في طيّاته خيرًا كثيرًا، والله يعلم وأنتم لا تعلمون.

يعترض بعض المنحرفين وينكرون أن تكون هذه الكوارث من آثار الذنوب، ويقولون ملبّسين الحقّ بالباطل: كيف تقولون هذه الزلزال التي وقعت في بلاد مسلمة عقوبة؟ ما ذنب شعب فقير مسلم لكي يحلّ به هذا الدمار؟!

سبحان الله! ألم يطّلع هؤلاء وأمثالهم على قول الله جلّ و علا: «وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ» (إبراهيم: 7) ألم يقل الله: «مَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ» (الشور :30) «ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ» (الروم: 41).

لكننا مع هذا نقول شتان بين نزول الزلازل والكوارث بالمسلمين وغير المسلمين.

ولذا، نعود للسؤال فنقول: ما الحكمة من وقوع هذه الزلازل بالعباد، سواء المسلم منهم والكافر؟ الجواب: أن هذا فيه تفصيل:

قد يقدر الله الزلازل وغيرها من الصواعق والأعاصير عقوبة لمن كفر به وجحد نعمته، كطوفان قوم نوح، وريح قوم هود، وصاعقة قوم صالح، وصيحة قوم شعيب، ورجم قوم لوط، وغرق فرعون وقومه، وخسف قارون.

وقد يقدر الله هذه الكوارث تخويفاً للعباد، واستعتابًا لهم، ليتضرعوا، وينيبوا إليه: «وما نرسل بالآيات إلا تخويفاً» (الإسراء: 59).

يبتلي الله عباده لتستيقظ النفوس الغافلة، وتلين القلوب القاسية، وتدمع العيون الجامدة.

قال ابن القيم رحمه الله: «وقد يأذن الله سبحانه للأرض في بعض الأحيان بالتنفس فتحدث فيها الزلازل العظام، فيحدث من ذلك لعباده الخوف والخشية، والإنابة والإقلاع عن المعاصي والتضرع إلى الله سبحانه والندم، كما قال بعض السلف وقد زُلزلت الأرض: إن ربكم يستعتبكم. وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقد زُلزلت المدينة، فخطبهم ووعظهم، وقال: لئن عادت لا أساكنكم فيها» (مفتاح دارالسعادة، ج:1/ص:221).

وقد روى الإمام أحمد عن صفية أنها قالت: زُلزلت المدينة على عهد عمر بن الخطاب، فقال: «يا أيها الناس، ما هذا؟! ما أسرع ما أحدثتم! لئن عادت لا أساكنكم فيها أبدًا».

وقد يقدر الله هذه الكوارث لتطهير المؤمنين الصابرين الصادقين من الذنوب ومُضاعفة ثوابهم، قال تعالى: «وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيءٍ مِنَ الْخَوف وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الأَمْوَالِ وَالأَنْفُسِ وَالثَّمَراتِ وَبَشِّر الصَّابِرِينَ. الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا للهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ . أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ» (البقرة: 155-157).

إن هذه الزلازل مع ما فيها من الرّزايا والبلايا والآلام النّاشئة عن نقص الأموال والأنفس والثّمرات وخراب العمران، فإنها لا تخلو من آثار رحمة الله بعباده، وتكفيره لسيئاتهم، كما روى الإمام أحمد وأبو داود والحاكم بأسانيد مختلفة عن أبي موسى الأشعريّ رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه و سلم أنه قال: «أمّتي هذه أمّةٌ مرحومة، ليس عليها عذابٌ في الآخرة، عذابُها في الدنيا الفِتَنُ والزّلازلُ والقتل» (مسند أحمد بن حنبل، ح:19693) وسنن أبي داود، ح:4278).

فالحديث يدل على ان غالب أفراد هذه الأمّة مجزيّون بأعماله في الدنيا بالمحن والأمراض والرزايا التي منها الزلازل تكفيرًا وتطهيرًا، كما جاء في الحديث الآخر المتفق عليه عن أبي هريرة وأبي سعيد الخدريّ رضي الله عنهما أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ما يصيب المسلمَ من نصبٍ ولا وصَب ولا همٍّ ولا حزن ولا أذى ولا غمٍّ حتى الشوكة يُشاكها إلاّ كفَّر الله بها من خطاياه» (صحيح البخاري، ح:5641 وصحيح مسلم، رقم الحديث:2573)، وفي صحيح البخاريِّ أيضًا عن أبي هريرةَ رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «من يرِدِ الله بِه خيرًا يصِبْ منه» (صحيح البخاري، ح:5645)، أي: ينزل به من ألوان

المصائب ما يكون كفّارةً لذنوبه، ورفعة لدرجته إذا صبر واحتسب.

وقد يقول بعض المنحرفين: فما ذنب الأطفال؟ نقول: لقد أخذوا بذنب آبائهم وأهليهم.

ففي «الصحيح» عن عائشة رضي الله عنها، أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: «يغزو جيش الكعبة فإذا كانوا ببيداء من الأرض يخسف بأوّلهم وآخرهم» قالت: قلت: يا رسول الله كيف يخسف بأوّلهم وآخرهم، وفيهم أسواقهم ومن ليس منهم؟ قال: «يخسف بأوّلهم وآخرهم، ثمّ يبعثون على نيّاتهم» (صحيح البخاري، رقم الحديث: 2118).

وفي «الصحيح» أيضًا من حديث زينب بنت جحش أنّها قالت: استيقظ رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم من نومه وهو محمرّ وجهه وهو يقول: «لا إله إلا الله ويل للعرب من شر قد اقترب، فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج» وعقد بيديه عشرة قالت زينب: قلت: يا رسول الله أنهلك وفينا الصّالحون؟ قال: «إذا كثر الخبث» (صحيح مسلم، رقم الحديث:2880).

أما أولئك الذين قدّر الله عليهم في هذا الزّلزال بالهدم فإنّهم إذا كانوا صالحين، فإنّهم شهداء، ففي «الصحيحين» عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : «الشّهداء خمسة -وذكر منهم:- صاحب الهدم» (صحيح البخاري، ح:2829 وصحيح مسلم، ح:1914.

الوقفة الرابعة: «إن زلزلة الساعة شيء عظيم»:

عباد الله إنّ زلزال الدنيا مهول، وآثاره مدمّرة، وواقعه مفجع، وهو في ذات الوقت موقظ لنا من رقدتنا لنتذكّر الآخرة وزلزلتها وأهوالها. نعم زلزال الدّنيا أرض ترتجف ومبانٍ تسقط، يموت من يموت، ويحيا من بقي له من عمره بقيّة، أمّا زلزال الآخرة ففيه تذهل المراضع، وتضع الحوامل، وتشيب الولدان، ويكون النّاس كالسّكارى من هول الموقف «يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ» (الحج:1-2).

الأرض والسماوات تبدّل، والجبال تنسف، والبحار تفجَّر، والسماء تنشقّ وتكشط، وبرزوا لله الواحد القهار.

الوقفة الخامسة: واجب المسلم تجاه هذه المصيبة التي وقعت لإخوانه:

لا ريب أيها الأحبة أنّ قيام المسلمين بنجدة المنكوبين وإغاثة الملهوفين ومسح البؤس عن جبين البائسين ممن نزلت بهم هذه النوازل وحلّت بديارهم هذه الزلازل؛ هو من أفضل الأعمال وأزكاها عند الله تعالى؛ لأنها من صنائع المعروف التي بيّن رسول الله صلوات الله وسلامه عليه حسن العاقبة فيها بقوله: «صنائِعُ المعروف تقِي مصارعَ السّوء والآفاتِ والهلَكات، وأهلُ المعروف في الدنيا هم أهلُ المعروف في الآخرة». والحديث أخرجه الحاكم عن أنس رضي الله عنه (المستدرك على الصحيحين: ح:429).

الوقفة السادسة: الإنابة والتوبة إلى الله:

إخواني الكرام إننا إذ نتعاطف مع إخواننا المسلمين هناك ونتألّم أشدّ الألم لما حلّ بهم ونسأل الله تعالى أن يرحم ضعفهم ويرفع الضرّ والبأساء عنهم؛ فإنه يجب علينا وعليهم أن نحاسب أنفسنا، ونصحّح أوضاعنا، وأن نسعى جاهدين لإزالة المنكرات والفواحش التي هي سبب حصول البلايا والمحن. وقد روى الطبراني والحاكم عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إذا ظهر الزنا والربا في قرية فقد أحلّوا بأنفسهم عذاب الله». (المستدرك على الصحيحين، ح:2261 والمعجم الكبير للطبراني، رقم الحديث:460).

فالواجب عند الزلازل وغيرها من الآيات والكسوف والريح الشديدة والفيضانات البدار بالتوبة إلى الله سبحانه، والتضرع إليه، وسؤال العافية، والإكثار من ذكره واستغفاره، كما قال صلى الله عليه وسلم عند الكسوف: «فإذا رأيتم شيئا من ذلك فافزعوا إلى ذكره ودعائه واستغفاره». (صحيح البخاري، ح:1059 والسنن الكبرى للبيهقي:6298) ويستحب أيضا رحمة الفقراء والمساكين والصدقة عليهم، لقول النبي صلى الله عليه وسلم: «ارحموا ترحموا» (أخرجه الإمام أحمد في المسند، ح:6541-7041) وأيضا قال:

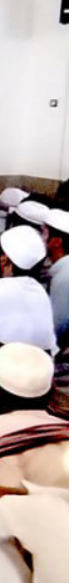

«الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء» (أخرجه أبو داود، ح:4941) والترمذي،ح:1924)، وقوله صلى الله عليه وسلم: «من لا يرحم لا يرحم» (أخرجه البخاري، ح:5997، ومسلم، ح:2318). وروي عن عمر بن عبد العزيز رحمه الله أنه كان يكتب إلى أمرائه عند وجود الزلزلة أن يتصدقوا.

الوقفة السابعة: المبادرة بالأعمال الصالحة:

ومن أسباب العافية والسلامة من كل سوء مبادرة الأعمال الصالحة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. فاتقوا الله عباد الله، وتوبوا إليه، واعتبروا بما جرى حولكم، وتذكروا قول الله تعالى: «قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ» (الأنعام:65).

فعلينا أن نحمد الله سبحانه وتعالى، وأن نؤدي الزكاة، وأن نصل الرحم، ونساعد المنكوب، علينا أن نتقي الله، حتى يحفظنا الله سبحانه وتعالى في أنفسنا وأموالنا، وأولادنا وديننا، لا تقل: أنا ارتكبت ذنبًا صغيرًا ففي الناس من يرتكب الكبائر، لا، ولكن عليك نفسك وإصلاح نفسك، ثم أن تحاول إصلاح الآخرين: «وَلَوْلا دَفْعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ» (الحج:40-41).

إن المسلمين الآن أصبحوا يهرولون بعد أعداء الإسلام، ويظنون أن أعداء الإسلام تقدّموا بسبب الكفر والإلحاد، وبسبب المعاصي، والواقع أن أعداء الإسلام تقدّموا بسبب جدّهم واجتهادهم.

فعلينا أن نتوب وأن نرجع إلى الله سبحانه وتعالى، فإن الله يقبل التوبة من عباده، وأن نكره الكفر بما أتانا من قبل أعداء الإسلام مما يخالف دين الإسلام. وهذا أمر يعتبر موعظة وذكرى، وهو أن ترى البيوت المهدمة والمشققة إلى غير ذلك، فالحدود معطلّة في المجتمعات الإسلامية، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر معطّل في كثير من البلاد الإسلامية الذي يقول فيه النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم كما في «سنن أبي داود» من حديث أبي بكر الصديق رضي الله عنه: «ما من قوم يعمل فيهم بالمعاصي، ثمّ يقدرون على أن يغيّروا، ثمّ لا يغيّروا، إلا يوشك أن يعمّهم الله منه بعقاب». (ح:4338).

فهل نحن معصومون من الخطأ؟ وهل ننزّل أنفسنا منزلة الملائكة الذين لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون؟ بل المنكرات طافحة في المجتمع، وصدق الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم إذ يقول كما في «صحيح البخاري» من حديث النعمان بن بشير: «مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها، فكان الّذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مرّوا على من فوقهم، فقالوا: لو أنّا خرقنا في نصيبنا خرقًا ولم نؤذ من فوقنا، فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعًا، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعًا» (ح:2493).

اللهم إنّا نسألك العفو والعافية في ديننا ودنيانا وأهلنا ومالنا، اللهم إنّا نسألك تمام العافية ونسألك دوام العافية و نسألك الشكر على العافية، اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك، و صلى الله تعالى على خير خلقه محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

.....

المراجع:

1- القرآن الكريم.
2- صحيح البخاري
3- صحيح مسلم
4- سنن أبي داود
5- سنن الترمذي
6- مسند أحمد بن حنبل
7- المعجم الكبير
8- السنن الكبرى
9- المستدرك على الصحيحين
10- مفتاح دارالسعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، ابن القيم الجوزية شمس الدين محمد بن أبي بكر

وصايا من الشيخ نذير قشلان لطلبة العلم

كان من حسن حظنا أن وفد إلى جامعتنا الشيخ الكريم نذير قشلان وهو أستاذ في جامعة دمشق، وقد كنا نسمع من قبل أنه نزيل جامعة «شورك ملكي» الإسلامية بخراسان، فأسعدتنا لقياه أيما إسعاد، ووجدناه أحسن مما وُصف.

كان حفظه الله طلق البشرة، نيّر المحيا، يدوّي صوته ويجلجل، واضح التعبير سلس الكلام، يفصح عن مراده ويتكلم بصوت هادئ، مدوٍّ، واضح، عذب، جميل، مؤثّر، دافئ مطمئن يثير كوامن النفوس ويمثّل فصاحة العربي القحّ وبلاغته، والقوة الكامنة والفاعلية الرابضة والحيوية النابضة في هذه اللغة الفذة.

ألقى محاضرته المختصرة في مسجد الجامعة بين حشد عظيم من الطلاب، فقمت بتحريرها ليعم نفعها؛ فإن الفرائد والفوائد صيد والكتابة قيدها.

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ربنا لك الحمد، الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، يا ربنا لك الحمد، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعد:

فضيلةَ الشيخ المدير مولانا الشيخ عبد المجيد، فضيلةَ السادة المدرّسين، والعلماء الصالحين، والمربّين المباركين السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

بادئ ذي بدء أعبّر عن سروري وسعادتي بلقائكم في دار أنوار العلوم المباركة، هذه الدارِ التي أسّست منذ نشأتها على تقوى من الله ورضوانٍ لتكونَ مِشعل علمٍ ورايةَ حضارةٍ تقدّمُها للأجيال في هذا العصر، باسم فضيلة سيدنا الشيخ إبراهيم فاضلي ونَجلِه السيّد يحيى وأخي في الله الأستاذ عامر والصحب الكرام، جئنا لنلتمس منكم البركةَ والخير والدعاء، فأنتم من خُلَّص عباد الله عز وجل.

نعم! هنيئًا لكم يا ورثة الأنبياء!

طالب العلم بدأ طريقه في الأرض ليصل إلى جنة الله في السماء. ألم يقل النبي عليه الصلاة والسلام: «مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ»؟!

فمرحبًا بطالب العلم! مرحبا بوصية رسول الله صلى الله عليه وسلم. هنيئًا لكم أن خصّكم الله جلّ جلاله من بين كثير من خلقه، إنه اجتباء واصطفاء. قال الله عز وجلّ: «ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا»

أنتم المصطفَون الأخيار! هنيئا لكم، نجتمع اليوم في هذا المكان المبارك تحت ظلال قول الله عز

وجل: «إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ»، «الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ».

نجتمع في هذا المكان وقد أكرمنا الله عز وجلّ بقوله: «يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ». قال الله عز وجلّ: «وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا».

ما أحلى هذا اللقاء! ما أجمل هذا الصباح حين نلتقي بوجوه متوضّئة، منوَّرة ساطعة، جعلت القرآن في صدرها، والعلم في عقلها، والأخلاق والتهذيب في سلوكها وفي أفعالها.

يا طلبة العلم!

هنيئًا لكم بما أقاكم الله به! فإذا علمتهم هذه المنزلة، وإذا أدركتم هذه المكانة فاقدُروا لهذا العلم قدرَه، وأعطوه حقه، وابذلا من أنفسكم غاية ما تستطيعون، وغاية ما تقدرون عليه، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

أول وصية أوصي نفسي بها وأوصي حضراتكم الإخلاص. حافظوا على الإخلاص! أن تكون نيتكم في طلب العلم ابتغاء وجه الله عز وجل.

من اليوم فكّر واعقد العزيمة بهمّة عالية! لمن أطلب العلم؟! لدنيا؟ ليُشارَ إليّ بالبنان؟ ليُقالَ عنّي عالم؟ أو لأُصدَّرَ في المجالس؟ أو لأُمتدَح على ألسنة الناس؟! لا! إنني أريد أن أطلب العلم ابتغاءَ وجه الله عز وجل. أريد أن أحمل هذه الأمانة. العلم الشريف أمانة ومسؤولية، أريد أن أعمل بما أعلم مع الإخلاص والصدق لأقوم به إلى جانب التبليغ، تبليغ هذا الدين، تبليغ الدعوة إلى الله عز وجلّ؛ فالناس عطشى كما أن الأرض عطشى، فإن قلوب الناس عطشى تنتظر أمثالكم ليُرووها بكتاب الله، ليعلّموها أحكام الله ودين الله عز وجلّ لتعيش حياة كما أراد الله عز وجلّ، أمانًا وسعادةً وتفوز غدًا برضوان الله عز وجلّ.

الإخلاصَ الإخلاصَ! «وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ» مخلصين له الدين! أخلِصوا في عملكم!

وبعد ذلك الوصية الثانية:

جدوا في دراستكم! خذوا هذا العلم واحملوا محمل الجِد والاجتهاد، وقديمًا قالوا: «من جدَّ وجَد، ومن سار على الدرب وصل».

هذا العلم الشريف ليس بالأمر السهل! لا يأتي هذا العلم بالمنام، أو مع السهرات، أو مع الفُكاهة والابتسامات! هذا العلم لا بدّ أن تعطيه كلّك، لو أعطيته كلَّك فالعلم سيعطيك بعضه؛ لأنه: «وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا».

إذا أعطيته كلّك سيعطيك بعضه، فإذا أعطيته بعضك لن يعطيَك شيئًا.

هذا العلم بما أنه وراثة الأنبياء ماذا قال الله عز وجلّ للأنبياء؟! قال: « خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ» بعزيمة، واجتهاد، وهمة، ونشاط، وأنتم ورثة الأنبياء، فخذوا هذا العلم بقوة كما قال الله عز وجلّ يخاطب أنبياءه.

اقدروا لهذا العلم قدره، ابذلوا له ليلكم ونهاركم! من طلب العلى سهر الليالي.

لا يكون في طلب العلم ضياع للوقت! لا يكون مع طلب العلم لعب ولهو وثرثرة وتضييع للأوقات! لا سيما مع هذا الجوال ومع الإنترنت! حافظوا على أوقاتكم أن تضيّعوها! حافظوا على دقائق وجودكم في معهدكم أن تضيعوها!

أنتم في روضة من رياض الجنة. أنتم مع كوكبة من علماء أفذاذ يعطونكم العلم والتربية والوعي والحكمة، يعطونكم كما يعطي الأب ولده، فكونوا مع أساتذتكم كما يكون الولد مع والده؛ لأن أساتذتكم كالوالد مع ولده!

فمع الجد والاجتهاد الوصية الثالثة: أن تبذلوا الأدب والاحترام والتقدير والتبجيل للأساتذة الأجلّاء بقدر ما تبجّلون تحصّلون! بقدر التبجيل يكون التحصيل! كل الاحترام وكل التقدير لأستاذنا ومعلمنا. «من علّمني حرفًا كنت له عبدًا».

لذلك كونوا مع أساتذتكم في أدب جمّ، واحترام عديم النظير، والله سبحانه سيكافئكم على ذلك،

ويجعلكم تحملون هذه العلوم في عقولكم وقلوبكم وتعيشونه سلوكًا في حياتكم.

أختم كلمتي بوصيتين أوصي بهما نفسي وإياكم. قبل العلم التهذيب، وليكن سلوكك سلوك وأخلاق العلماء. كيف نهذّب أنفسنا؟! يا طلاب العلم! لا يكون علم وبذاءة في اللسان، أو حقد في القلوب، أو إساءة للصديق والزميل، فالمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده.

أنصحكم بالمحافظة على النوافل والعبادات!

يا طالب العلم إياك أن تقصر في سنن رسول الله! لا تقل إنها سنة وليست فريضة وليس في تركها عقوبة. أنا لا أتحدث عن السنن الواتب المؤكدات، إنما أتحدث عن صلاة الضحى، والأوابين، وقيام الليل، والتهجد. طالب علم لا يتهجد؟!؟! هذا لم يكن في سيرة العلماء، إن علماءنا الماضين لم يكتب الله لهم هذا القبول، ولم يكتب لهم هذا الخلود لمصنفاتهم وعلومهم وكتبهم إلى هذا اليوم إلا من ورعهم وكمال أخلاقهم وصدق صلتهم بالله عز وجل وحسن صلاتهم وتقواهم واستقامتهم.

ذاكم الإمام السرخسي رحمه الله فيما قرأت في ترجمته: كان يحيي الليل في العلم والكتابة والتصنيف. أصيب بمشاء في بطنه وكان الجو باردا، خرج في ليلة واحدة -ولم يكن أمر الحمام بالأمر اليسير- إحدى عشرة مرة ثم يعود ويتوضأ، وقال لا يليق بالعلم ومدارسته أن أكون على غير وضوء. لاحظوا الأدب مع العلم، وانتبهوا إلى هذه الميزة. ما كانوا يقرأون العلم أو يكتبونه ويدارسونه إلا وهم على تمام الطهارة حتى اضطر في ليلة أن يخرج إلى الحمام والخلاء إحدى عشرة مرة، ويعيد وضوءه مع الظروف الصعبة وفصل الشتاء!

هكذا عاشوا حياة سماوية، حياة راقية، حياة نبوية، كلها ورع، كلها إخلاص، فكتب الله لهم الخلود.

آخر شيء أقوله: يا طالب العلم -وأرى أمامي مجموعة كبيرة من الشباب الذين تنظر عيونهم إلى المستقبل، لعلهم يفكرون في الأيام القادمة: كيف يكون مستقبلهم؟ كيف يعيش؟!- إياكم أن تطرق هذه الوساوس آذانكم أو أن تتأثروا بكلام الناس: ماذا تريدون من طلب العلم؟! هذا العلم ماذا يغنيكم؟ هل سيبني لك بيتا؟ أو يشتري لك سيارة؟ أو ستعيش به في رفاهية من الحياة؟ إياكم!! الشيطان يريد أن يقعدنا عن طلب العلم! أما قال: «لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ». الشيطان يريد أن يجعل العقبات في طريقنا في طلب العلم. «لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ» يتحدى الله عز وجل. إياكم أن تجعلوا لتلك العقبات في حياتكم أي دور! تجاوز تلك العقبات! اصبر! اصبر على الفقر، هكذا صبر علماءنا، حتى صاروا أمجادًا يكتب بهم التاريخ، وذلك بعد أن صبروا وضحّوا وقدّموا وبذلوا، رضوا بالقليل من الطعام والمشرب والملبس.

إياك أن تقول: ما هو مستقبل طالب العلم؟ ما الذي سيطعمني هذا العلم؟! هذا الكلام خطير جدا...!! كأنك تقول لله عز وجل: يا رب أنت ترزق من تخلى عن دينك، أم الذي يؤيد دينك فلسوف تضيّعه! والله سبحانه لا يضيع أجر من أحسن عملا، فأحسنوا عملكم وأخلصوا في طريقكم! ستأتي الدنيا راغمة أنفها.

تعيشون حياة كلها رضا، وكلها قناعة، وكلها سعادة في رضاء الله عز وجل وحسن طاعته.

وفقني الله وإياكم لما يحب ويرضى. حياكم الله وبارك بكم وبارك بشيخنا المدير والأساتذة الأجلاء، شكرا لفضيلة الشيخ المترجم الشيخ أبو سعيد عبد الواحد، أنعم به وأكرم! حياكم الله ومرحبا بكم، سعدت بلقائكم والحمد لله رب العالمين.

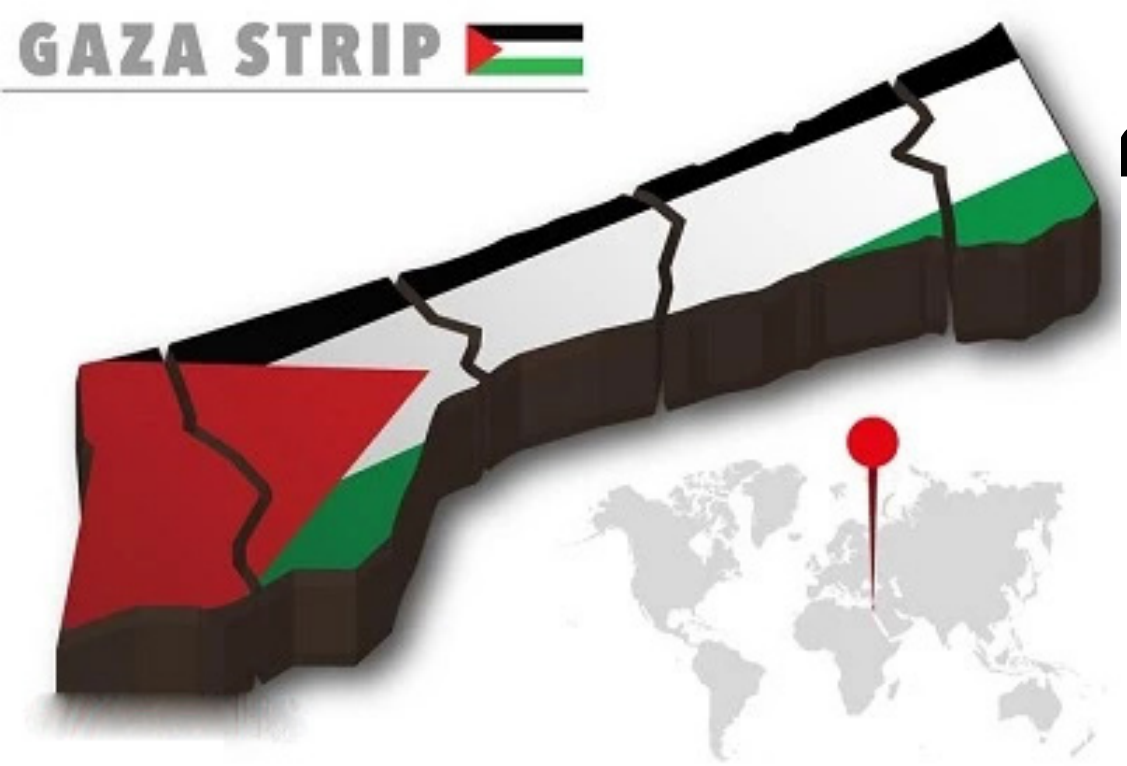

غزة العزيزة

إلياس نظري

خذي الحجارةَ يا فلسطين!
الكلُّ بالحجارة يرمون.
أُصرُخ بأعلى صوتك؛
أخي الكل عن الكلام يخرَسون.
كونوا سعداء، مستبشرين..
لا تمَسُّ الحاجة أبدا أن ألعب دور فرعونَ أو أبيجهل حتى
يخلد اسمي في التاريخ.
سجلي اليوم!
كفاه ذكرا وتسجيلا في أوراق التاريخ.
تسجيل عجزي وهواني...
تسجيل عدم كفاءتي...
تسجيل نوم عميق أتى على الأمة وأخذ وعيها...
غزة العزيزة...!
إن دمكِ المهراق، بُذل لتُنفَخَ الروح في جسم الأمة، التي لا حياة فيها.
فأقول بخطاب صريح لا التواء فيه: لا تأمَل في هؤلاء.
لقد مات صلاح الدين منذ عدة سنوات، وعاد أبو عبيد إلى المدينة،
ولم يبق من خالد إلا اسمه.
في هذه الأثواب الرثة البالية السوداء.
ويا لها من عينيكِ الغائرتين المُجوَّفتين لكثرة ما كنتِ في مستهدَف القذائف والقنابل.
والأطفال الأبرياء..في حضنكِ الدافئ..
هجَّوا بكلمات الحرب والحجر والدم.
صراخهم أقام الدنيا وأقعدها، ...
لكنه لم ينبه رؤساء بلادنا من رقدتهم.
وما الفائدة ونومي كان ثقيلا للغاية.
ولم يحدث بكاءكِ المتواصل فيَّ انتباها.
أردّد في نفسي تلك الجملةَ لصلاح الدين:
لن يعودوا بتاتا ما دمنا رجالا.

مزبلة التاريخ أيضا تأبى وتنكر هذا الوهن وعدم الحمية.
ورجال الغد يشكّون في أننا كنا رجالا.
هل من منادٍ ينادي:
أينقص الدين وأنا حي؟
لا أظن...!!
فلا يمكنني إلا أن أقول: ...
يا إلهي؛ أنا مستحيٍ خجلان.
نبيي العزيز!! سامحنِي.
يا أبابكرا! اليوم قد كسدت سوقُ نداءك وصراخك.
يا عمر؛ قد ضيّعنا أمانتك.
اليوم أرى مصداقية: «حب الدنيا رأس كل خطيئة» بأم عينيي.
أرى كيف اتكأوا بأرائك السلطة والحكم، ولا سلطة لهم ولا حكم.
أرى كيف تكون دماء إخوتي وجثثهم ثمنا لراحتهم ورغد عيشهم.
أرى كيف يسخرون من المجاهدين ويستهزئون بهم. المشكلة لا تعود إليهم أبدا ...
بل المشكلة في قلوبهم، ...
والله يذكرنا كلُّ يوم: «لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا».
التاريخ بحاجة ملحة إلى أبي بكر آخر، له قلب تضطرم الحرقة فيه، ...
إلى عمرَ، ليمنع عنه النوم المريح ويجوب الشوارع خوفا من الظلم والبغي، ...
إلى صلاح الدين، ليجهز الجيش بعيون محمرة، دامعة.
نعم! يجب أن يعيد التاريخ نفسَه. عليه أن يطردنا ويرمينا بعيدا، وينتعش من جديد.
وحقًّا؛ مشكلة عصرنا الأساسية، أننا فيه.
بسم الله الرحمن الرحيم
من طالب العلوم الشرعية إلى أمير المؤمنين عمر الفاروق:
إراقة الدماء مستمرة لا تتوقف ...
انهمدت بيوت المسلمين ... تساق النساء والأطفال إلى المجازر؛ لأنهم مسلمون.
أعيدوا أبا عبيدة وخالدا ...
أعيدوا أبا عبيدة وخالدا ... لكنني أقول: لا تنظروا إلى ظروفنا البائسة الحزينة المعقّدة الحالية!! ...
سوف نعود بالتأكيد ...
وسوف يتحقق وعد الله فينا، ...
وسوف تتحقق كلمة نبينا صلى الله عليه وسلم!
أقسم بدماء الأطفال!!
أقسم بالصياح والعويل الذَين بلغا إلى السماء!
أقسم بالتكبير والتهليل والهجوم صباحا!! ...
سوف نصوّر «العاديات».
حينئذ لا يحميكم الحجر ولا الشجر.
بينت لتعي ذاكرتُكم ...
لم نمت، ولا نموت ...
لا نسامح، ولا ننسى! ...
وانتظروا إنا منتظرون. بالدماء والجروح لا تزال «قبة موسى» قائمة، ولا يزال المسجد الأقصى في قبضة الريح.
رقص الحمام في ساحة الأقصى، يذهلنا حينا، فـ«قبة الأرواح» مذهلة في قبضة الريح.
سلام على من اتبع الهدي.

يا تلاميذَ غزة علِّمونا

نزار قباني

يا تلاميـــذ غـــــزةَ علِّـــمونا
بعضَ ما عندكم فنحن نسِينا

علِّمونا بـــأن نكـــون رجـــالًا
فلدينا الرجـــالُ صاروا عجينا

علِّمونا كيف الحجـــارة تغـــدو
بين أيدي الأطفال ماسًا ثمينا

كيف تغدو دراجة الطفل لُغْـمًا
وشريطُ الحريرِ يغـدو كمينـا

كيف مصـاصة الحليـــب إذا ما
اعتقلـــوها تحوَّلَت سكينـا

يا تـــلاميـــذَ غـــزة لا تُبـــالُـــوا
بإذاعـاتنـا ولا تسمعـــونـا

اضـــربوا اضـــربوا بكـل قواكـم
واحـــزموا أمركـــم ولا تسألونا

نحن أهلُ الحسابِ والجمعِ والطرحِ
فخُوضوا حروبَـكم واتركـونا

إننا الهاربـون من خدمـةِ الجيشَ
فهاتـــوا حبالَـــكم واشنُقـونا

نحن موتـــىٰ لا يَملِـــكون ضَريحاً
ويتامـىٰ لا يملِـكون عُيـونا

قد لـزمـنـا جحـــورنـا وطلـبـــنا
منكـــم أن تقاتـــلوا التِّنّيـــنا

قد صغُرنـــا أمامَكـــم ألفَ قـــرنٍ
وكبُرتم خلالَ شهـرِ قُـرونـــا

يا تلاميـــذَ غـــزة لا تـــعـــوداوا
لكـــتابـــاتنـا ولا تـــقرَأونـــا

نحن آباؤكـــم فـــلا تُشبـــهونا
نحـــن أصـنامكم فلا تعبدونا

نتـعـــاطى القـــات السيـــاسي
والقمع ونبني مقابرا وسجونـا

حرِّرونـــا من عقـــدة الخوف فينا
واطـردوا من رؤوسنا الأفيـونا

علِّمـــونا فنَّ التشبـــث بـالأرض
ولا تتـــركوا المسيـــح حزيـنا

يا أحبـــاءنـا الصغـــار سلامـا
جعل الله يومـكم ياسميـــنا

من شقـــوق الأرض طلـعـــتم
وزرعتم جراحـــنا نسريـــنا

هذه ثـورة الدفاتـــر والحبـــر
فكـونوا على الشـفاه لُحونا

أَمطِرونـــا بطولـــةً وشموخًـــا
واغسِلـــونا من قبحِنا اغسلونا

إن هـــذا العصرَ اليهـوديَّ وَهْـمُ
سوفَ يَنهـار لو ملَكْنا اليقينا

يا مجانيـــن غزة ألـــف أهـــل
بالمجانيـــن إن هـــم حرَّرونـا

إن عصـــر العقل السياسي ولّىٰ
من زمـــان فعلِّمونـــا الجنـونَا

حاطب الليل

للطالب: عبد الله عيدي زادة

أصيبت هذه الأمة بمحن لم يصب ببعضها ولا بمثلها أمة من الأمم الخالية، ولو كانت لإحداها مثل ما لهذه الأمة لبادت وهوت الريح بأنقاضها في مكان سحيق.

ولست أريد تعداد ما واجه الإسلام الأصيل في طريقه إلى الأمام من المحن أو الفتن الصادرة من قِبل الفرق الزائغة الحُسّاد -ولم يكونوا كلهم في مستوى واحد في إثارة الفتن والشبهات كاليهود؛ فإن لها قصب السبق في هذا المجال- بل سأتعرض لانحراف رائج في المسلمين بلغ ذروتها في عصرنا هذا وإن كان له سلف فيما بعد القرن السادس، وهو مسألة الاجتهاد الشرعي وتحريم التقليد. سأتبع في تحقيق الموضوع المراحل التالية:

الأول: ثبوت الاجتهاد وجوازه. الثاني: بيان شرائطه وهل هو واجب لكل فرد على حدة؟ الثالث: بيان ثبوت التقليد و أنه ليس ببدعة! الرابع: هل هو مشروط بمعرفة حجج المجتهد في اجتهاده؟!

الخامس: بيان تبعات التقليد وهل هو مقصور على الأئمة الأربعة؟

السادس: الإمام أبو حنيفة بين الجرح والتعديل، ومكانته في الحديث.

ثبوت الاجتهاد فيما لا نص فيه في عهد الرسول والصحابة رضي الله عنهم: قال الحافظ ابن القيم رحمه الله: كان علماء الأمة منحصرين في قسمين: 1- حفاظ الحديث وجهابذته. 2- فقهاء الإسلام ومن دارت الفتيا على أقوالهم بين الأنام الذين خصّوا باستنباط الأحكام وعُنوا بضبط قواعد الحلال والحرام؛ فهم في الأرض بمنزلة النجوم في السماء، بهم يهتدي الحيران في الظلماء، وحاجة الناس إليهم أعظم من حاجتهم إلى الطعام والشراب، وطاعتهم أفرض عليهم من طاعة الأمهات والآباء بنص الكتاب. قال تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ».(النساء:59) (إعلام الموقعين ج:1 ص:9) والعلماء لا محالة يشملهم لفظ «أُولِي الْأَمْرِ» وطاعة الرسول واجبة قطعًا؛ لأنه مخبر عن الله تعالى وهو المبلغ عن رب العالمين، ونرى أنه تعالى لم يفصل بين طاعة الرسول وطاعة العلماء، وهذا رمز إلى وجوب طاعة العلماء الذين يُظهرون الأحكام.

وأدلة ثبوت الاجتهاد لا تُعد و لا تحصى، فمما روي في ذلك عن النبي وأصحابه: ما روى النسائي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رجلا سأل النبي : أن أبي أدركه الحج و هو شيخ كبير لا يثبت على راحلته، فإن

شددتُه خشيت أن يموت، أفأحُجّ عنه؟ قال: «أرأيت لو كان عليه دين فقضيتَه أكان مُجزئا؟ قال: نعم، قال: «فحُجّ عن أبيك».(سنن النسائي، رقم:2640) وأمثال هذا الاجتهاد كثيرة من النبي فيما لم ينزل فيه نص من الله، وروى الدارقطني في سننه عن عبد الله بن عمرو قال: جاء رجلان يختصمان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لعمرو بن العاص: «اِقْضِ بَيْنَهُمَا» قال: وأنت هٰهنا يا رسول؟! قال: «نَعَمْ» قال: على ما أقضي؟ قال: «إِنِ اجْتَهَدْتَ فَأَصَبْتَ لَكَ عَشَرَةُ أُجُورٍ، وَإِنِ اجْتَهَدْتَ فَأَخْطَأْتَ فَلَكَ أَجْرٌ وَاحِدٌ». (رقم:4457) وروى أبوداود والترمذي عن أناس من أهل حمص من أصحاب معاذ بن جبل: أن رسول الله لما أراد أن يَبعَثَ معاذًا إلى اليمن، قال: «كيف تَقضِي إذا عَرَضَ لكَ قَضاءٌ؟ « قال: أقضي بكتاب الله، قال: «فإن لم تَجِدْ في كتاب الله؟ « قال: فبسُنةِ رسولِ الله، قال: «فإن لم تجد في سُنة رسول الله ولا في كتاب الله؟ قال: أجْتَهِدُ رأيي ولا آلُو، فضَربَ رسولُ الله صَدْرَهُ وقال: الحمدُ لله الذي وَفَّق رسولَ رسولِ الله لما يَرضَى رسولُ الله» (سنن أبي داود، رقم:3593) فهذا صريح في ثبوت الاجتهاد وجوازه لأهله في الفروع، والطعن في حديث معاذ بأن في إسناده رواية مجهول عن جماعة مجهولين مردود، وأجابوا عن دعوى جهالة الحارث بن عمرو بأنه ليس بمجهول العين؛ لأن شعبة بن الحجاج يقول عنه: إنه ابن أخي المغيرة بن شعبة، ولا بمجهول الوصف، لأنه من كبار التابعين، ولم ينقل أهل الشأن جرحًا مفسرًا في حقه، ورده ابن القيم بأن جهالة أصحاب معاذ غير مضر؛ لأنه لا يعرف في أصحابه متهم ولا كذاب ولا مجروح، بل أصحابه من أفاضل المسلمين. كيف و الإمام شعبة بن حجاج حامل لواء هذا الحديث؟! و قد قال بعض أئمة الحديث: «إذا رأيت شعبة في إسناد حديث فاشدد يديك به». و هذه الروايات حجج على الفرقة الظاهرية خصوصا على ابن حزم؛ فإنهم أنكروا حجية القياس.

و روى أحمد في مسنده عَنْ أَنَس، قَالَ: اسْتَشَارَ رَسُولُ اللَّهِ النَّاسَ في الْأُسَارَى يَوْمَ بَدْرٍ، فَقَالَ: «إِنَّ اللهَ قَدْ أَمْكَنَكُمْ مِنْهُمْ»، فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّاب: يَا رَسُولَ اللهِ اضْرِبْ أَعْنَاقَهُمْ، قَالَ: فَأَعْرَضَ عَنْهُ رَسُولُ اللهِ، ثُمَّ عَادَ عليه السلام، فَقَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللهَ قَدْ أَمْكَنَكُمْ مِنْهُمْ، وَإِنَّمَا هُمْ إِخْوَانُكُمْ بِالْأَمْسِ»، فَقَالَ عُمَرُ مِثْلَ ذَلِكَ، فَأَعْرَضَ عَنْهُ عليه السلام، ثُمَّ عَادَ عليه السلام، فَقَالَ مِثْلَ ذَلِكَ، فَقَالَ أَبُوبَكْرٍ: يَا رَسُولَ اللَّهِ نَرى أَنْ تَعْفُوَ عَنْهُمْ، وَأَنْ تَقْبَلَ مِنْهُمْ الْفِدَاءَ، قَالَ: فَذَهَبَ عَنْ وَجْهِ رَسُولِ اللَّهِ مَا كَانَ مِنْ الْغَمِّ، ثُمَّ عَفَا عَنْهُمْ، وَقَبِلَ مِنْهُمْ الْفِدَاءَ، وَأَنْزَلَ الله: «لَوْلَا كِتَابٌ مِنْ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ...» الْآيَةَ. وقال العلامة شهاب الدين الآلوسي الحنفي في «روح المعاني»: واستدل بالآية على أن الأنبياء عليهم السلام قد يجتهدون، وأنه قد يكون الوحي على خلافه ولا يقِرّون على الخطأ. ثم قال:» لَوْلا كِتابٌ مِنَ اللهِ سَبَقَ» قيل: أي: لولا حكم منه تعالى سبق إثباته في اللوح المحفوظ وهو أن لا يعذب قوما قبل تقديم ما يبين لهم أمرا أو نهيا، وروى ذلك الطبراني في الأوسط عن ابن عباس رضي الله عنهما.(رقم 8107) هذا رسول الله يستشير أصحابه ويجتهد في حكم قبل نزول نص فيه، فلم يصب فكان له أجر في اجتهاده ولم يمسّه من الله عذاب؛ لأن الاجتهاد فيما لم ينزل الله حكمه صراحة مشروع ولا عذاب في ارتكاب المشروع. فنقتصر على هذه الأدلة في جواز الاجتهاد تحرّزا من الإطناب والإسهاب.

شرائط الاجتهاد وهل أنه واجب على كل فرد على حدة؟ هذا السؤال يندفع ببيان شرائط الاجتهاد، سئل إمام أهل السنة الحافظ الحجة أحمد بن حنبل: إذا حفظ الرجل مائة ألف حديث يكون فقيها؟ قال: «لا». قال: فمائتي ألف؟ قال: «لا». قال: فثلاث مائة ألف؟ قال: «لا». قال: فأربعمائة ألف؟ قال بيده هكذا وحرّكها. وقال عبد الله بن أحمد: سألت أبي عن الرجل يكون عنده الكتب المصنّفة فيها قول رسول الله والصحابة والتابعين وليس للرجل بصيرة بالحديث الضعيف المتروك ولا الإسناد القوي من الضعيف فيجوز أن يعمل بما شاء ويتخير منها فيفتي به ويعمل به؟ قال: لا يعمل حتى يسأل ما يؤخَذ منها، فيكون يعمل على أمر صحيح يسأل من ذلك أهل العلم. (إعلام الموقعين، ج:1 ص:45) و كان الإمام أحمد نفسه من الأئمة المجتهدين فكان يحفظ من الحديث ومختلفه وناسخه ومنسوخه ما يؤهّله لهذا الشأن، قال أبو الحسين: سألت جدي محمد بن عبيد الله، قلتُ: فكم كان يحفظ أحمد بن حنبل؟ قال: أخذ عن ستمائة ألف. وقال ناصر السنة الإمام الجتهد محمد بن إدريس الشافعي فيما رواه عنه الخطيب البغدادي في كتاب «الفقيه و المتفقه»: لا يحل لأحد أن يفتي في دين الله إلا رجلا عارفا بكتاب

الله، بناسخه ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه وتأويله وتنزيله ومكيّه ومدنيّه وما أُريدَ به، ويكون بعد ذلك بصيرا بحديث رسول الله وبالناسخ والمنسوخ ويعرف من الحديث مثل ما عرف من القرآن، ويكون بصيرا باللغة، بصيرا بالشعر وما يحتاج إليه للسنة والقرآن، ويستعمل هذا مع الإنصاف ويكون بعد هذا مشرفا على اختلاف أهل الأمصار وتكون له قريحة بعد هذا، فإذا كان هذا فله أن يتكلم ويفتي في الحلال والحرام وإذا لم يكن هكذا فليس له أن يفتي، انتهى.(إعلام ج:1 ص:46)

وقال علي بن شقيق: قيل لابن المبارك: متى يفتي الرجل؟ قال: «إذا كان عالما بالأثر، بصيرا بالرأي». فثبت من فتاوى أئمة الحديث والاجتهاد أن الاجتهاد لا يجوز لغير أهله، وأهله هو الذي يكون جامعا لشرائطه التي وقفتَ عليها من كلام الإمام أحمد و الشافعي و ابن المبارك.

ومعظم الناس ليست لديهم المؤهلات للاجتهاد، ولو قلنا بوجوبه عليهم وحملناهم على تحصيل شرائطه لضاعت مصالح العباد وتعطّلت الصنائع والمتاجر وهذا منا لا سبيل إليه شرعا. (قواعد في علوم الفقه) وقال الإمام المحدث الأصولي أبوبكر الجصاص الحنفي: «غير جائز أن يقال: إن عليه أن يتعلم الأصول وطرق الاجتهاد والمقاييس حتى يصير في حدّ من يجوز له الاستنباط؛ لأن ذلك ليس في وسعه وعسى أن ينفد عمره قبل بلوغ هذه الحالة، وقد يكون المبتلى بالحادثة غلاما في أول حال بلوغه وامرأة رأت دمًا شكّت في أنه حيض أو ليس بحيض، وقد حضرهما وقت إمضاء الحكم حيث لا يسع تأخيره، فثبتَ أنّ عليه مسألةَ أهل العلم بذلك وقبول قولهم فيه». (الفصول في الأصول) وقال الشافعي رحمه الله: «مثل الذي يطلب العلم بلا حجة كمثل حاطب ليل يحمل حزمة حطب وفيه أفعى تلدغه وهو لا يدري».(ذكره البيهقي في مقدمة» مناقب الشافعي) وقال الشيخ حبيب أحمد الكيرانوي في تفسير قول الشافعي: «إن من لا يصلح للاجتهاد إذا اجتهد وقصد اتباع الحجة فلا يؤمن عليه أن يزعم غيرَ الحجة حجةً كحاطب ليل يأخذ الأفعي بظنه أنه حطب فتلدغه.(قواعد في علوم الفقه، ص:22)

بيان ثبوت التقليد في القرن الأول وأنه ليس ببدعة محدثة بعد القرن الرابع كما زعم بعض:

نرى أنه تعالى أرشدنا إلى تقليد أهل العلم حيث يقول: «فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ».(النحل، آية:43) وكان التقليد شائعًا بين الصحابة أيضا، وقال ابن جرير: «لم يكن أحد لَهُ أَصْحَاب معروفون، حرروا فتياه ومذاهبه في الْفِقْه، غير ابْن مَسْعُود، وَكَانَ يتْرك مذهبه، وقوله، لقول عمر.

وَكَانَ لَا يكَاد يُخَالِفهُ في شَيء من مذاهبه، وَيرجع من قَوله إِلَى قَوله». وَكَانَ بَين فُقَهَاء الصَّحَابَة من يُوصي أَصْحَابه بالإلتحاق إِلَى ابن مَسْعُود، إِقْرَارا مِنْهُم بواسع علمه، كَمَا فعل معَاذ بن جبل، حَيْثُ أَوْصَى صَاحبه عَمْرو بن مَيْمُون الأودي باللحاق بِابن مَسْعُود، بِالْكُوفَة.(نصب الراية) وقال التابعي الجليل فقيه الشام عامر الشعبي: كان عبدالله -يعني ابن مسعود رضي الله عنه- لا يقنت. قال: ولو قنت عمر لقنت عبدالله. وقال طاووس رحمه الله: أدركت سبعين من أصحاب رسول الله إذا تدارأوا في شيء انتهَوا إلى قول ابن عباس -رضي الله عنهما-. وقال أيضا: قال الأعمش عن إبراهيم: إنه كان لا يعدل بقول عمر وعبدالله إذا اجتمعا. وإبراهيم هو إبراهيم النخعي التابعي. (قواعد في علوم الفقه، ص:11) فهذه نصوص صريحة في أن التقليد متوارث من عهد رسول الله إلى زماننا هذا، وغير هذه النصوص في جواز التقليد الشرعي كثيرة نتركها خوفا من الإطناب. فالقول بأن التقليد بدعة حدثت في القرن الرابع أو السادس كتمانِ حق. وأما قوله تعالى: «وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا، أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ». ونظائره فإن الله تعالى ذم التقليد فيها لمخالفة الحق الثابت، ولم يذم التقليد لاتباع الحق، بل أوجب اتباع الرسل وأولي الأمر منهم وأولوا الأمر شامل للعلماء قطعا، فالتقليد واجب بدلالة آية سورة النساء.(قواعد في علوم الفقه، ص:13) ولا منافاة بين قوله تعالى: «فَإِن تَنَازَعْتُمْ في شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ» وبين تقليد عالم مجتهد؛ لأن الردّ إلى العالم بأحكام الله ورسوله رد إلى الله ورسوله في الحقيقة؛ لأن المقلّد يقلد العالم المجتهدَ لظنِّه أن قوله كاشف عن قول الله و الرسول. وكما يمكن إصابة المجتهد في اجتهاده يمكن خطأه أيضا، وقوله «اتقوا زلة العالم» ليس نهيا عن تقليد العالم كما زعم الحافظ ابن القيم في»إعلام الموقعين»، بل إنه خطاب ونهي لمن يعرف الزلة؛ لأن الاتقاء لا يمكن إلا بمعرفة الزلة وزلة المجتهد يعرفها مثله أو من

فوقه، فالخطاب ليس للمقلدين.(قواعد في علوم الفقه)

وعجبا ممن قال بتحريم التقليد ولا يقلد جبالا في العلم، مثل: الإمام أبي حنيفة النعمان والإمام مالك والإمام الشافعي والإمام أحمد، ثم يقلد ابن حجر في حكمه على الحديث وأمثال الألباني وابن باز وابن عثيمين ويوجِبون تقليد هؤلاء وتقليد أنفسهم في رأيهم هذا على الأمة! فشتان ما بين أهل التقليد وغيرهم في اتباع الحق وأين الثرى من الثريا! هل يجب للمقلد معرفة وجه استدلال المجتهد فيكون تابعا للحجة ولا يكون متّبعا بغير علم؟ وروى المفسر المحدث الفقيه محمد بن جرير عن قبيصة بن جابر قال: ابتدرت أنا وصاحب لي ظبيًا في العقبة، فأصبته، فأتيت عمر بن الخطاب، فذكرت ذلك له. فأقبل على رجلٍ إلى جنبه، فنظرا في ذلك. قال فقال: اذبح كبشًا. قال يعقوب في حديثه، فقال لي: اذبح شاة. فانصرفت فأتيت صاحبي فقلت: إن أميرَ المؤمنين لم يدرِ ما يقول! فقال صاحبي: انحر ناقتك. فسمعها عمر بن الخطاب، فأقبل عليَّ ضربًا بالدِّرة وقال: تقتل الصيد وأنت محرم، وتَغْمِصُ الفُتْيا! إن الله تعالى يقول في كتابه: «يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ» هذا ابن عوف، وأنا عمر. (جامع البيان:12586) هذا عمر أميرالمؤمنين -الذي قال مجاهد في منزلته في الفتيا: إذا اختلف الناس في شيء، فانظروا ما صنع عمر فخذوا به. (حلية الأولياء ج:4/ص:320)- يفتي ولا ينقل للمستفتي الآية ولا الحديث، بل كان الصحابة يفتون بما فهموا من الآية والحديث.

تبعات تقليد الأئمة واجتهاد كل فرد لنفسه:

قال صاحب «قواعد في علوم الفقه» الشيخ حبيب أحمد الكيرانوي: «انظروا إلى بدعات الخوارج والمعتزلة والباطنية والجبرية والقدرية والقاديانية وغيرها، هل دخل الناس فيها إلا من باب الاجتهاد والتحاكم إلى الله وسنة رسوله من غير أهليّتهم للاجتهاد، وتركِ تقليد أئمة الدين؟ فالعجب منكم كيف خفيت عليكم هذه الأمور الواضحة».(ص:51).

مسألة انقطاع الاجتهاد: وأما مسألة انقطاع الاجتهاد فمبني على الاستقراء والتتبّع، وليست بمسألة شرعية ثابتة من الكتاب أو السنة، فإنْ شهدت لأحد الأحوال ووُجدت فيه شرائط الاجتهاد يسلّم له ذلك وإلا فلا.

مكانة الإمام الأعظم في الحديث و توثيقه:

هو أقدم الأئمة الأربعة مولدا، وأكثرهم بين المسلمين أتباعا، وأبلغهم حذقا وكياسة، وأعمقهم علما ودراية، إنه تولد بالكوفة واختلف في عام مولده على أقوال، قيل: سنة 61هـ، و قيل: 70هـ، و قيل: 80هـ، والمشهور هو الثالث وإن كان بعض الباحثين رجح الرواية الثانية. هذا عبدالرحمن بن مهدي من أئمة أهل النقد وحفاظ البصرة وفقهائها يقول: كنت نقّالا للحديث، فرأيت سفيان الثوري أميرالمؤمنين في العلماء، وسفيان بن عيينة أمير العلماء، وشعبة عيار الحديث، وعبدالله بن المبارك صرّاف الحديث، ويحيى بن سعيد قاضي العلماء، وأبا حنيفة قاضي قضاة العلناء، ومن قال لك سوى هذا فارمِه في كناسة بني سليم. وهذا يحيى بن نصر بن حاجب: دخلت على أبي حنيفة في بيت مملوء كتبا، فقلت: ما هذه؟ قال: هذه أحاديث كلها، وما حدّثت به إلا اليسير الذي ينتفع به.(عقود الجواهر المنيفة) وقال الإمام الحسن بن زياد: كان أبو حنيفة يروي أربعة آلاف حديث. فهذا دليل أنه كان على علم بعدد بالغ من الأحاديث، لكنه كما قال لم يحدّث إلا بالقليل منها، وكان القليل أربعة آلاف حديث كما قال الحسن، وهو عدد يعبَأ به. وقال محمد بن سماعة: «إن الإمام ذكر في تصانيفه نيّفا وسبعين ألف حديث، وانتخب الآثار من أربعين ألف حديث». (قواعد في علوم الحديث/ص:316) وكتاب «الآثار» هو أول مصنّف في الصحيح، جمع فيه الإمامُ الأعظم صِحاحَ السنن ومزجه بأقوال الصحابة والتابعين، و هو أول كتاب دُوّنت فيه الأحاديث على الترتيب الفقهي المعروف.(الإمام ابن ماجة وكتابه السنن/ص:58)

وقال المفتي محمد هارون في تعليقه على «أصول الإفتاء وآدابه: «قال العلامة المحدث الناقد محمد عبدالمالك: «و الذي يقتضيه الإنصاف أن أول من صنّف في الصحيح على منهج ما قبل المائتين الإمام أبو حنيفة رحمه الله في» الآثار» ثم الإمام مالك رحمه الله في»المؤطأ».(شرح أصول الإفتاء و آدابه/ص:148)

وقال الإمام يحيى بن معين: سمعت يحيى بن سعيد القطان: لا نكذب اللهَ، ما سمعت أحسن من رأي أبي حنيفة و قد أخذنا بأكثر أقواله. قال ابن معين: كان يحيى بن سعيد يذهب في الفتوى إلى قول الكوفيين. وكان الكوفيون هم أبا حنيفة وأصحابه وتابعيهم في الفقه والاستدلال؛ على ما أفاد الشيخ العلامة المحقق محمد زاهد الكوثري الحنفي حيث سمى رسالته -التي صنّفها في بحوث علمية عن

المذهب الحنفي وأئمته العظام- «فقه أهل العراق وحديثهم»، فأطلق أهل العراق وأراد بهم الحنفية، وإن كان هناك غيرهم من الفقهاء والمذاهب؛ بسبب أنه ما اشتهر من فقهاء العراق إلا الحنفية.(فقه أهل العراق وحديثهم، ص9، دار البصائر) وهذا مسعر بن كدام -شيخ سفيان الثوري وسفيان بن عيينة وشيخ أكبر شيوخ الإمام أحمد والبخاري ومسلم- يقول: «طلبت مع أبي حنيفة الحديثَ فغلبَنا، وأخذْنا في الزهد فبرع علينا، وطلبنا معه الفقه فجاء منه ما ترَون».(مكانة الإمام أبي حنيفة في الحديث) وهذا إمام علم الرجال يحيى بن معين، من فحول رواة الستة وكبار شيوخ المحدثين، يقول: «ما رأيت أحدا أقدّمه على وكيع، وكان يفتي برأي أبي حنيفة، وكان يحفظ حديثه كله، وكان قد سمع من أبي حنيفة حديثا كثيرا».

ونقل صاحب تهذيب الكمال توثيقه عن إمام الصنعة سيد الخفاظ يحيى بن معين رحمه الله تعالى، حيث قال: «قال محمد بن سعد العوفي: سمعت يحيى بن معين يقول: «كان أبو حنيفة ثقة لا يحدّث بحديث إلا بما يحفظه، ولا يحدث بما لا يحفظ»(تهذيب الكمال ج:29/ص:424)

فتوثيقه ثابت من أئمة الجرح والتعديل، من: الإمام مالك، والشافعي يحيى بن سعيد القطان، وسفيان الثوري، وابن المبارك، وابن معين، وعلى ابن المديني وغيرهم من كبار أهل العلم بالحديث، وما روي من تجريح البعض للأئمة الأعلام والطعن فيهم، فهو: إما ناشئ من اختلاف المعتقد والمذهب، نحو ما قال الشيخ المحقق الكوثري في ابن عقيل، وابن عدي حيث اعتدِيا على الأئمة والفقهاء من الحنفية، وإما صدر خطأً ثم ثبت الرجوع عنه، نحو ما قال ابن حجر إذا سئل عن تليين النسائي لحديث الإمام الأعظم، وأتى الشيخ عبد الرشيد النعماني بالحجة لرجوع النسائي عن تليين الإمام ونحو ما أثبت العلامة المحقق الكوثري في عبد الرحمن بن مهدي من أنه كان كثير الطعن، كثير التراجع، ونحو ما روي في جرح ابن معين للإمام الشافعي، وإما ناشئ عن كون الجارح متعنتا متسرّعا في الجرح، نحو ابن أبي حاتم صاحب كتاب «الجرح والتعديل» حيث قال في شيخ حفاظ الأمة محمد بن إسماعيل البخاري: «سمع منه أبي وأبو زرعة، ثم تركا حديثه عندما كتب إليهما محمد بن يحيى النيسابوري أنه أظهر عندهم أن لفظه بالقرآن مخلوق». من الجدير بالذكر أن لو ثبت شيء من وجود النزاع بين أهل الحديث والحنفية؛ فإن السبب الرئيسي لهذا البون الشاسع بين أهل الحديث والحنفية هو يرجع إلى نزاعهم مع المعتزلة في مسألة خلق القرآن؛ لأنهم كانوا متمذهبين بمذهب أبي حنيفة في الفروع، فلم يسلم الإمام الأعظم من طعن الطاعنين وجرح الجارحين. وقال الشيخ الكوثري -ووافقه الدكتور مصطفى السباعي في «السنة و مكانتها في التشريع الإسلامي»-: «إن من تحامل على أئمتنا إما راوٍ جامد لا ينتبه إلى دقة مدارك أئمتنا في الفقه، فيطعن فيهم بمخالفة الحديث، وهو المخالف للحديث دونهم، أو زائغ صاحب بدعة، يظن بهم أنهم على ضلال، و هو الضالّ المسكين».(فقه أهل العراق و حديثهم ص81)

وقد أفاد وأجاد حافظ المغرب أبو عمر يوسف بن عبد البر القرطبي في «جامع بيان العلم وفضله» في أقوال العلماء بعضهم على بعض وفي جرح أئمة الأمة، وقال في موضع منه: «و يُستدل على نباهة الرجل من الماضين بتباين الناس فيه، قالوا: ألا ترى إلى علي بن أبي طالب هلك فيه فئتان، محب أفرط ومبغض فرّط».(ص:1084) و قد طال الكلام والمبحث أطول لا يسَعُه المقام، وخصصت الإمام الأعظم بالذكر في موضع؛ لأنه أكثر من توجّهتْ إليه الهجمات من أئمة الأمة، وإلا فمناقب الأئمة المجتهدين كثيرة صُنّفت كتب مستقلة فيها ومن أراد التفصيل فليراجعها. .....

المنابع:

1- إعلام الموقعين، للحافظ ابن القيم
2- سنن النسائي
3- سنن الدارقطني
4- سنن أبي داود
5- مسند الإمام أحمد
6- روح المعاني للعلامة شهاب الدين الآلوسي
7- المعجم الأوسط للإمام الطبراني
8- قواعد في علوم الفقه للشيخ الكيرانوي
9- الفصول في الأصول (أصول الجصاص) للإمام أبي بكر الجصاص
10- مناقب الشافعي للإمام البيهقي
11- نصب الراية
12- جامع البيان في تأويل آي القرآن (تفسير الطبري) للإمام محمد بن جرير الطبري
13- حلية الأولياء للحافظ أبي نعيم
14- عقد الجواهر المنيفة في أدلة مذهب الإمام أبي حنيفة للسيد محمد مرتضى الزبيدي
15- فقه أهل العراق وحديثهم للعلامة المحقق محمد زاهد الكوثري
16- مكانة الإمام أبي حنيفة في الحديث للشيخ عبدالرشيد النعماني
17- تهذيب الكمال
18- الجرح والتعديل للحافظ ابن أبي حاتم
19- جامع بيان العلم وفضله للحافظ يوسف بن عبد البر القرطبي.
20- الإمام ابن ماجة وكتابه السنن للشيخ عبد الرشيد النعماني.
21- أصول الإفتاء وآدابه للعلامة محمد تقي العثماني وشرحه للمفتي محمد هارون بن محب الرحمن.
22- قواعد في علوم الحديث للعلامة المحدث الناقد ظفرأحمد العثماني.

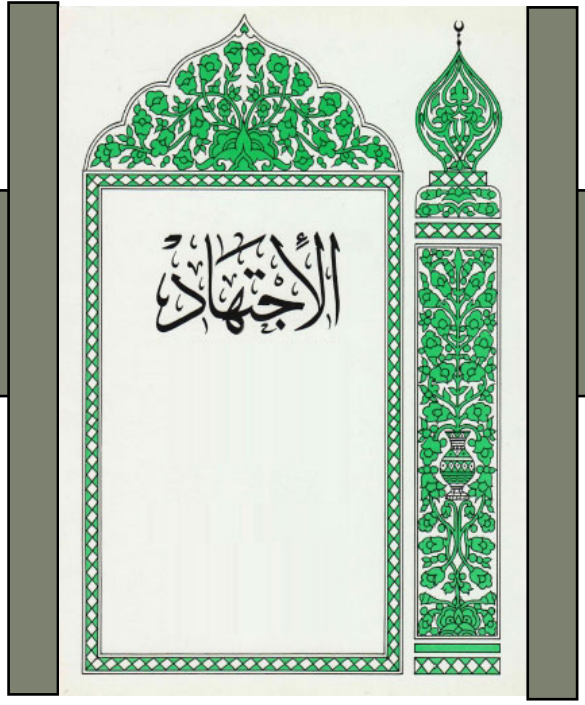

منهجية الاجتهاد في العصر الحاضر

قاسم نوري

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده: كلما تطور الزمان وانقضت من أعمار الدنيا أيام، وتشعبت شؤون الحياة، وتنوعت حوائج الإنسان كثرت بذلك الحوادث، وتتابعت النوازل. فالحياة لا تستقر على شيء، والأحوال لا تثبت في حين بعد حين، والإنسان فيها مصاب بالمصائب، وعرضة للعوارض، وهو يتقلب في أطوائها، لا يستطيع النجاة منها. ومن جراء تلك التغيرات ترى الإنسانَ يتحين الفرص ليساير الزمانَ في الترقي والتطور، لذلك تراه ساعيًا كل السعي لإنجاز الاختراعات والاكتشافات الجديدة، ويستخدم أقصى جهوده لينال حياة حافلة بالرخاء والأمن، يستوي في ذلك المومن والكافر. فإذا كانت الحياة ذات تطور، والمومن لا يعيش إلا في ضوء الشريعة الإسلامية، فلا بد من أن تكون أحكام الشريعة قابلة للانعطاف حسبما يقتضيه كل عصر، وأن تكون عندها حلول واقتراحات لكل عقدة وحادثة تعتري المومن في معترك الحياة.

هذا وإنّ كتب الفقهاء المتقدمين وإن كانت مشتملة على معظم المسائل السائدة، لكنها ربما لا تحتوي على بعض المسائل الحديثة صراحة ولا دلالة، فنحتاج لحلها واستخراج أحكامها إلى الاجتهاد. وهو كما قال العلامة المفتي محمد تقي العثماني حفظه الله: «من أهم الموضوعات التي عالجها الباحثون في هذا الزمان، وإن له من الخطورة والأهمية فيما أعتقد ما ليس لموضوع في أصول الفقه سواه. ولا سيما في زماننا هذا لتوفر دواعيه، وكثرة مقتضياته في جانب، وقلة الشعور بمسئوليته، وانتقاص الأوصاف المبرِّرة له في جانب آخر». ثم يقول الشيخ حفظه الله: « فمِن زاعم يزعم أن باب الاجتهاد مسدود منذ قرون بجميع أبوابه وأقسامه، لكن هذا الرأي خطأ بالبداهة، لأنا لو فرضنا أن بابه مقفول للأبد لما عرفنا أحكام المخترعات الحديثة من القطار، والطائرة، والمذياع، والتلفزيون، والأدوات الكهربائية الأخرى، فلولا أن باب الاجتهاد مفتوح في الجملة للزم التكليف بما لا يطاق في المسائل المتعلقة بأمثال هذه المخترعات. وهناك رأي آخر يقول: إن باب الاجتهاد مفتوح بمصراعيه لكل من هبَّ ودبَّ، ويجوز لكل أحد أن يقتحمه دون أي شرط أو قيد، فيقول في القرآن والسنة برأيه ما شاء، ويُقحِم فيهما ما شاء من أهواء وآراء. وإن هذا خطأ وضلال أيضا؛ لأنه يستلزم أن لا يكون للإسلام أصول ثابتة ولا أحكام مستقِرّة، ولا قواعد مضبوطة، وأن يصير الإسلام ثوبا متخلِخلا لجميع الآراء المتناقضة، والنظريات المضطربة».

الاجتهاد المطلوب والعقلية البحتة:

يقول العلامة العثماني: «يزعم بعض الناس اليوم أن الاجتهاد عبارة عن تحكيم العقل والرأي في جميع شؤون الحياة، وتأويل النصوص بما يجعلها تابعة لذلك العقل والرأي، فيردّون أحكام النصوص الشرعية التي لا توافق عقولهم قائلين بأنها أحكام وقتية تقبل التغيير بتغيّر الزمان. ومن أكبر ما يستدل به هؤلاء: أن الإسلام دين عقل وعلم، وأنه أتى في كل شأن من شؤون الحياة بأحكام تساير الإنسان

في حياته العملية، وتوافق عقله العادي، وتحقق مصالحه الفردية والاجتماعية. فلو وجدنا في ظواهر النصوص الشرعية أحكامًا تُعوِزها هذه الصفات، ورأينا المصالح العقلية لا توافقه اليوم، فإن ذلك أكبر دليل على أن ذلك الحكم ليس من الإسلام، وليس مقصودا للشارع، فإما أن نعتبر ذلك الحكم حكما وقتيًّا إنما نزل في ظروف خاصة قد فاتت اليوم، وإما أن نصرف النصوص عن ظواهرها، ونؤولها إلى ما يوافق المصالح العقلية.

ولكن الحق أن هذا الدليل يقوم على أساس باطل، وذلك أن العقل الإنساني بمجرده هو الحاكم الأعلى والمعيار الأوفى لمعرفة الخير والشر، والصلاح والفساد، فكلما حكم العقل بكون الشيء خيرا وجب الإذعان له إلى حد تُترك به النصوص، ويُهمَل به القرآن والسنة، والعياذ بالله العظيم. لا شك أن الإسلام دين عقل وعلم، وأن أحكامه تحتوي على حِكَم بالغة ومصالح عظيمة، وليس معنى ذلك أن الإسلام ترك الإنسان يتخبط في وساوس عقله المجرد، ويجعلها بمنزلة الشارع. إذًا فأي فرق بين الإسلام والفلسفات اللادينية التي تدعي كلها اتباع العقل والتفكير؟!

وليست هذه الفكرة التي تسمي نفسها «عقلية» مختصة بالعصر الحاضر، بل كلما أراد الإنسان أن يُحَكّم عقلَه المجرد في مشاكل حياته، ازداد الضغث على الإبالة، واتسع الخرق على الراقع، فكان في القديم فرقة تسمى «باطنية» وكان عبد الله بن الحسن القيرواني من كبار قادته، وعظماء مفكريه، ويحكي العلامة البغدادي في كتابه المعروف: «الفرق بين الفرق»: أنه كتب في رسالة له إلى بعض أتباعه: «وما العجب من شيء كالعجب من رجل يدعي العقل، ثم تكون له أخت أو بنت حسناء، وليست له زوجة في حسنها، فيحرّمها على نفسه، ويُنكحها من أجنبي، ولو عقل الجاهل لعلم أنه أحق بأخته وبنته من الأجنبي». (1) وإن من النماذج الحديثة لما أثمر هذا العقل الخالص الحر ما قد حدث في انكلترا قبل أعوام، وهو أن البرلمان البريطاني قد وضع قانونا لإباحة اللواطة للرجال، إذا كانت بتراضٍ من الفريقين، وقد وافقه أعضاء البرلمان برجّات من التصفيق والسرور والإعجاب، مع أن العدد الكبير من أعضاء البرلمان ينكرون عليها أشد الإنكار، لكنهم لم يجدوا عندهم ما يثبت شناعة هذه الفعلة على أسس عقلية خالصة. فاتضح مما سبق أن تحكيم العقل المجرد في أمور الحياة كلها ليس من الإسلام في شيء، ولا علاقة له بالاجتهاد المشروع، وإنما هو اتباع للأهواء، ونزوع إلى الشهوات، ولا سبيل إلى تجويز هذا التشهي باسم الاجتهاد، بل الاجتهاد أن نرجع إلى نصوص الوحي طالبين للحق، محتاجين إلى إرشاده وهدايته، متطلعين إلى حُكمه المنطوق، مستيقنين بأن هدى الله هو الهدى، فنستخدم في تفسيره الأصول الثابتة، ونعطي كل أصل حقه، ونأتي البيوت من أبوابها لا من ظهورها.

منهج عملية الاجتهاد:

والمنهج العملي لذلك الاجتهاد أن يتخذ الفقه الإسلامي كأساس معتبر لهذه العملية، ثم يجتهد في تطوير الفقه إلى ما يقتضيه عصرنا الحاضر في نواح ثلاث: أما الناحية الأولى: فنستطيع أن نسميها ناحية الإضافة، وتطوير الفقه الإسلامي من هذه الناحية: أن تضاف إليه الأحكام والمباحث المتعلقة بالمسائل والمعاملات الجديدة، والمخترعات الحديثة التي إنما وجدت في هذا العصر، وليست مذكورة في كتب الفقه القديمة، أو هي مذكورة باختصار لا يفي بمقتضيات العصر الحاضر، وذلك مثل أحكام الشركات المساهمة، والأعمال المصرفية، والتجارة فيما بين البلدان، وأحكام المقاولات التجارية، وأحكام المصانع وعمّالها و غير ذلك.

ومما يجب أن يراعى في هذه المسائل أمران: أحدهما عدم ذكر الشيء في كتب الفقه ليس دليلا على عدم جوازه. والأمر الثاني: أن الفقيه ليس عليه بيان الحكم الشرعي فحسب، بل ينبغي له أيضا إذا كان يفتي بحرمة شيء مثلا، أن يأتي بحلول مشروعة لمشاكل الناس، وخاصة في المعاملات الاقتصادية، ويدل عليه قول سيدنا يوسف عليه السلام الذي حكاه القرآن الكريم بقوله: «قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ (47) ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ

مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تُحْصِنُونَ (48) ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ (49)».

فإن سيدنا يوسف على نبينا وعليه الصلاة والسلام لم يكتف بتعبير الرؤيا فقط، وإنما ابتدأ ببيان المخرج من هذه المشكلة أولا، ثم أخبرهم بإتيان هذه السنين، وهذا هو الفقه في الدين. والناحية الثانية لتطوير الفقه إلى ما يفي بحاجات الزمان، هي ناحية تغيير بعض الأحكام لتغيّر علتها، وهذا مثل ما ذكر الفقهاء من حرمة بيع ماء البئر والنهر المملوك لسقي المزارع، وعلّله الإمام أبو يوسف رحمه الله في كتاب الخراج بأنه مجهول لا يعرف. وكان الأمر كذلك عند الفقهاء؛ لأنه لم يكن إذ ذاك معيارٌ يقدّر به مقدارُ الماء المستعمل في سقي المزارع، ولكن اليوم قد وجدت في سائر العالم عدّادات يمكن بها ضبط مقدار الماء، فارتفعت الجهالة بما يستلزم جواز هذا البيع، ومثل ذلك كثير في الفقه الإسلامي. والناحية الثالثة لتطوير الفقه حسب حاجات الزمان، أن تؤلف الكتب الفقهية بترتيب يوافق المذاق المعاصر؛ فإن الكتب الفقهية القديمة ربما يصعب على الباحث اليوم استخراج المسائل منها لقلة عناوينها، واختصار فهارسها، وتعقّد أسلوبها، وطول مباحثها، فالذي يجب علينا اليوم أن نؤلف كتبا جديدة يسهل تناولها، وننشر الكتب القديمة بترتيب وترقيم وتفصيل، ونرتّب لها فهارس ضافية.

من ذا الذي يقوم بهذا الاجتهاد؟

إن النقطة الأساسية ههنا هي أن الاجتهاد ليس من الحقوق الإنسانية التي ينبغي أن يَحُوزها كل إنسان، وإنما هو عمل علمي لا بد له من مؤهلات، ولا يختلف ذلك عن اشتراط مستوى مخصوص من علم الطب لمعالجة المرضى.

ثم يقول الشيخ حفظه الله بعدما ذكر أن الاجتهاد يشترط له علم وافر: «وتتحتم هذه النتيجة العقلية (اشتراط الصفات والمؤهلات لكل عمل) بنص أحاديث مأثورة عن النبي الكريم صلى الله عليه وسلم وأذكر ههنا حديثين: 1- عن عبدالله بن عمرو العاص رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إن الله لا ينزع العلم بعد أن أعطاهموه انتزاعا، ولكن ينتزعه منهم مع قبض العلماء بعلمهم، فيبقى ناس جهال، يُستفتَون فيُفتون برأيهم، فيَضِلّون ويُضلّون»(2) 2- عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال قلت: يا رسول الله، إن نزل بنا أمر ليس فيه بيان أمر ولا نهي فما تأمرني؟ قال: «تشاوروا الفقهاء العابدين ولا تمضوا فيه برأي خاصة».(3) فهذان الحديثان يشترطان العلم والتقوي لكل من ينصب نفسه للإفتاء والاجتهاد، ويصرّحان بأن اجتهاد من يفقدهما ضلال وإضلال، وخاصة الحديث الثاني، فإنه اشترط للاجتهاد في المسائل شروطا ثلاثة: 1- أن يكون من قبل الفقهاء، وهم العلماء بالفقه. 2- أن يكون الفقهاء من العابدين المتقين. 3- أن يكون الاجتهاد جَماعيا على سبيل المشاورة فيما بينهم». انتهى كلام شيخ الإسلام. مع الأسف البالغ قد تقاصرت الهمم وقلت الرغبات عند المتخرجين من الجامعات الإسلامية ولا سيما في مملكتنا الإيرانية في تحقيق المسائل واستخراج أحكامها من بطون الكتب، وقد ازداد الميل إلى المال، وإلى جبر ما فاتهم من الدنيا عبر السنوات الدراسية، لذلك ترى المتخرج بعدما يخوض المجتمع يسابق أقرانه من غير أهل العلم في تكثير الأموال وحشد الفانيات، مع أنه لم يدرس لهذا.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان.

تلخيص وإضافات لمقالة العلامة محمد تقي العثماني حول الاجتهاد.

.....

المراجع:

1- البغدادي: الفرق بين الفرق، ص:29 أحوال الباطنية.

2- أخرجه البخاري في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب ما يذكر من ذم الرأي وتكلف القياس ح:7307 3- مجمع الزوائد للهيثمي، ج:1/ص:71، ويقول الهيثمي عن هذا الحديث: رواه الطبراني في الأوسط، ورجاله موثقون من أهل الصحيح.

ما شئت كان!

الطالب: علي صفايي

إن أسباب الهموم والمكدّرات في هذه الحياة كثيرة، ما يدعو البعض لليأس والقنوط من الفرج بعد الشدة وزوال البلاء في مظاهر متعددة وألوان شتى، فالبعضُ ليس له شغل إلا أن يُردّد مفردات اليأس والقنوط، فيعيش اليأسَ في كل تصرفاته، لا يكاد يفرح بشيء، وسيطرة هذه المشاعر تُقْعد المرء عن القيام بأمورٍ نافعة كثيرة؛ لأنه حكم على نفسه بالفشل، وذبح نفسَه بسكينِ اليأس. ولكن كن معي في هذه القصة العجيبة من حياتي كي لا تيأس ولا تنسى مشية الله.

ذات يوم كنت خارجا إلى السوق مع صديقي، كانت السوق بعيدة والجوّ رائعا جميلا بعد العصر. قررنا أن نسير مشيًا على الأقدام كي نتمتع بالجو اللطيف؛ لأن الربيع بسط بساطه على أديم الأرض، فأزهرت واعشوشبت.

فجأة رنّ جوالي، كان الاتصال من قبل أبي أمرا عاديا؛ لأنني كنت بعيدا عن الأهل والأسرة، تكلم معي بالهدوء كالسابق، ولكنه سرني بخبره، وأخبرني بأنه قد حجز لي موعد الرحلة بالطائرة، وتغادر الطائرة الساعة العاشرة مساء. جهزت جهاز السفر وكنت مسرورًا لأني ما زرت أهلي منذ أربعة أشهر وكنت أنزَع إليهم، ومع ذلك كله كنت تائها جدا.

كان الوقت متأخرا، هبطت الطائرة في منتصف الليل. فلما قابلت أبي أدهشتني الجراحات الكثيرة التي كنت أراها في وجهه، بل أعجب من ذلك كانت يده منكسرة، بل أعجب من ذلك تغيرت سيارته! ازدادت نبضات قلبي وعرفت أنه سيحدث ما لا تتصوره

الأذهان وما لا تتوقعه الأنظار، وهو مما لا يخطر على بال. هذه الكارثة فاجأتني وجفلتني، وبدأت سلسلة من الأفكار والأوهام تهاجم خاطري.

كانت السيارة تسير مسيرا غير المسير المعتاد، لمعت لوحة المستشفى من مسافة بعيدة. وصلنا إلى المستشفى. كان الأمر عجيبا وغريبا بدرجة لا يصدق. يحمل أبي في يده لباسا كزي الأطباء وأمرني بارتداءه ... رنين البكاء يُسمع من ناحية المستشفى، لا أستطيع أن أشرح هذا المشهد لأني أصبت بالذهول. أدخلتني الممرضة الغرفة التي كان فيها المرضى يتنفسون بجهاز التنفس المسماة بـ»□□□»، تسمّرت في مكاني تائها مذهولا لا أعي ما أرى ولا أستطع التحرك ولا أنبِس ببنت شفة، لقد كنت كالمتجمد. استرعت انتباهي لفتت نظري امرأة جُرح جميع وجهها بحيث لا تعرف. تقدمت إليها لأني عرفتها من يديها... وهنت رجلاي وكنت أشعر بأن الدنيا تدور على رأسي. كأن هذه اللحظة لقطة من فلم لا يمكن تصديقها.

وشعرت بأن الدنيا تغيّر لونها وأن الحياة رحلت من جسدي. كيف حصل ذلك؟! ما استعطت أن أكمل طريقي إليها خلال بضع خطوات. كادت النفس تزهق وذرفت عيوني على الخدود.

أخرجتني من هذه الغرفة.

نعم!! إن حزني على أمي كان كالمد والجزر في بحر متلاطم الأمواج ليس يسكنه شيء، وفي قلبي حلّقت غيوم الأحزان لتبدأ فصلا جديدا من البكاء.

بت أنا وإخوتي على الرصيف جانب المستشفى.

في ذلك اليوم من شدة تأثري الشديد، اختلطت أفراحي بالدموع، لم أكن أدري من قبل أن الفرح أحيانا قد يتبدل بكاءً...! زرنا الطبيبة صباحا وقالت: إني أخبركم وأصرح لكم بشيء ولعلكم تتهمونني بالقسوة، ولكن لا بد منه! إن أمّكم تحتاج إلى عملية جراحية، إن المرضى في مثل هذه الظروف تكون نسبة موتهم تسعًا وتسعين في المئة!! وإن كنتم تحبون أمكم فلا تؤذوها ولا تزعجوها بالعملية الجراحية! كانت كلماته كسهام تستهدف سويداء قلوبنا أو كقنابل تكسح ما فينا من الرجاء، وجد الحزن في قلبي وطنًا آمنًا لا يخونه! كيف أصدق هذا المشهد وأمي أغلى شيء في دنياي! كنت أتكلم في خيالي معها! أيا أماه! علمتِني كل شيء إلا شيئًا واحدًا وهو كيف سيكون الألم عند فراقك؟ نادت الطبيبة أبي وطلبت منه التوقيع والموافقة للعملية الجراحية التي لعلها تنتهي بموت أمنا!

هناك أُخبرتُ بأن أبي اصطدم مع سيارة أخرى، وكانت آثار العجلات واضحة على الجادة تحكي أن المكابح لم تسطع أن تنمنع الكارثة. وأعلن رجال المرور الأسباب التي لعبت دورا رئيسيا في هذا الأصطدام هي: السرعة الزائدة أثناء القيادة خاصة في طرق غير معدة بالشكل الصحيح ومليئة بالحفر، وعدم امتلاك السائق لخبرة القيادة أي: أنه لا يمتلك الخبرة الكافية للقيادة. كنا ننتظر الخبر (النتيجة) بعد العملية الجراحية. تردد على ألسنة الخلق أن فلانة ماتت! قالت الطبيبة: إن العملية الجراحية كانت ناجحة

وننتظر سبع ساعات إن وقفت المياه التي تسيل من المخ فهي لا تموت، وإن لم تقف فإنا لله وإنا إليه راجعون.

كان سلاحنا الوحيد الذي نملكه الدعاء! وهو سلاح يصيب ولا يخطئ.

أتهزأ بالدعاء وتزدريه...وماتدري بما صنع الدعاء!

استردّت صحتها بإذن الله تعالى!

«وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا».

(الإنسان:30)

فالمقصود من الآية الكريمة بيان أن كل مشيئة لا قيمة لها ولا وزن إلا إذا أيدتها مشيئة الله! عجبا ولله! إن الأطباء يقولون: إن المريضة تموت تسعًا وتسعين في المئة، ولكن الله يفعل ما يريد ويقدر ما يشاء!

بحر من المعاني في حرفين

للطالب: أمير نبوي بور

الحمد لله الذي وسعت رحمته كل شيء وسبق عفوه غضبه، والصلاة والسلام على الذي حريص على المؤمنين رؤوف رحيم بهم، والحمد لله على أن خلق فينا من يُعرف بالحنو.

بمجردطلع ولكني سمعت صوتا مريحا وكنت أعرفه، كأني كنت أعرف هذا الصوت الوادع من قبل، وهذا كان حين ولادتي، وذلك الصوت صوت أمي، كان طيبا واضحًا منذ البداية.

فهذه مقدمتي للتعرّف بالأم، لا أريد سرد قصة، وإنما أردت طرح نكت وكشف لآلي من محيط حنان الأم، والزمان شهيد على ذلك، وإني لا أتقن الرسم ولكني أحاول رسم صورة لا تسيء مكانة الأمهات السامية، ولكن مع الأسف الشديد القلم لا يستطيع أن يبلِّغ أحاسيسي، وأنا أؤمن بشدة بالحب في النظرة الأولى؛ لأنني عندما فتحت عيني على هذا العالم لم أر أحدا سوى أمي، فعشقتها منذ اللحظة الأولى، وهنا أترك العنان للقلم.

أنا أبذل قصارى جهودي حتى لا يبقى في قوس بذلي منزع لتعريف من أنهكت نفسها وخطّت التجاعيد على وجهها لبنيها.

من السهل القول، ومن السهل الكتابة، ولكنها هي تتصرف ونحن نشاهد، وكل إنسان سواء كان مسلما أو كافرا لديه اعتقاد قوي بأن الأم مليئة بالعطف الذي ربما لا تستطيع آلاف الكتب تحمِل ثقلَها، والأم مكونة من حرفين لكن الحرف كلّه بداخلها، والأمومة تشبه المشي في حقول الألغام، فهو أمر حساس للغاية وأي خطأ فيه سيؤدي إلى موت محقق، وكأن الله عند ما أراد أن ينشر لطفه بين الأناس أعطى النسبة الكبرى للأم، ثم قسّم الحثالة الباقية بين الآخرين، وصحيح أنني لم أر الجنة تحت أقدام الأمهات، لكني رأيت الآمال التي داستها لأجل ولدها حقا.

بعض الشباب للأسف لا يصاحبون الأم في رابطة ثنائية أي: الأم تنفق قوتها وكفاءتها في عنفوان شبابها على ولدها كي يصل إلى بغيته، وتفرش الأم كتفيها وتخفض جناحيها وتجعل نفسها سلّما ليصل ولدها إلى ذروة آماله، ثم تراه لا يبذل أي جهد لمساعدة والدته التي أنفقت له كل ما ملكت، بل إن البعض يذهبون إلى حد تعذيب أمهاتهم وعقوقهن. والأم مثل قلم الرصاص الذي يعلمنا الحياة وطبيعة قلم الرصاص أنه يصغر في كل مرة نكتب بها، الأم أيضا تصغر أكثر فأكثر عندما تُعلّمنا الحياة.

رأيت مقطعا مناسبا بهذه النصوص. حكى شاب فقال: تشاجرتُ ذات مرة مع أمي في أمر ما، فلم أتمالك نفسي وانطلقت أقول لها كلامًا قاسيا ورفعت صوتي، ثم ذهبت إلى غرفتي واضطجعت على سريري، والله العظيم لقد هرب النوم من عيني وحزِن قلبي وعقلي، كان ما حدث عظيما، وأرّقني الندم، فرحل النوم المريح عن عيوني وأقضّت الحسرة مضجعي، في اليوم التالي في الصف كنت أفكر باستمرار في والدتي وفي خطأي، هذا جعلني أغادر الصف وأخذت هاتفي وأرسلت رسالة إلى والدتي لأسترضيها، وكتبت في الرسالة: سمعت أن باطن قدم الإنسان أنعمُ وأرقُّ من ظاهر القدم! فهل تسمحين لي أن أتأكد من صحة ما سمعت بقبلة. بعد ذلك عدت إلى الصف وشعرت بقليل من الارتياح، وعندما عدت إلى المنزل وبمجرد أن فتحت الباب رأيت والدتي في غرفة الجلوس تنتظرني، وكانت عيناها الرائعتان ممتلئتين بلآلٍ تتساقط بعضها على خدودها. قالت لي: أنا لا أسمح لك بتقبيل باطن قدمي، لكن ما قلته صحيح وقد جربته شخصيا مرات عديدة عندما كنتَ صغيرا كنت أقبّل باطن وظهر قدميك.

وهنا ينبغي أن يقال: إذا كانت الجنة تحت أقدامهن فهي من حقهن حتما، وإنْ كل ما سمعنا وتذوّقنا من حنان الأمهات إلا جزء يسير من بحر عطف الله الذي لا يدخل في قانون الحصر.

وطفولتي جعلتك في الشباب عجوزة...

سامحيني يا أماه على شعرك الأبيض الذي أصبح أبيض بسببي.

على الرغم من أنني أحرزت تقدما إلا أن صلاتك يا أمي هي التي عبّدت مسيري وجنّبت العراقيل.

فدى الأقصى

للطالب: بنيامين لشكرزادة

إنّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، ثم الحمد لله الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له، له الملك، وله الحمد.

أُحب أن أسترعي انتباهكم وألفت أنظاركم إلى أمة من المسلمين، أمة منكوبة علت أصواتهم نحو السماء وجاوزت السحاب، هم أهل فلسطين. إنّ فلسطين وقضيتها هي قضية كل مسلم كما يعتقد العلامة القرضاوي رحمه الله، فهي قضية تجمّعت فيها كلُّ المصائب.

تُعدّ فلسطين الأرض المقدسة، وهي أرض الأنبياء، وفيها أولى القبلتين، وثالث الحرمين الشريفين، ومسرى النبيّ عليه الصلاة والسلام، لقوله تعالى: «سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا، إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ» شاهدنا على مدار التاريخ أنّ الأعداء يتآمرون مرة بعد مرة لدخولها وإخراج إهلها وقتل أبنائهم، بل وصل الأمر بهم إلى تدنيس مقدساتهم، وفي هذه اللحظة قُتل من إخواننا المسلمين عدد لا يحصى. حكامنا المسلمة غافلون ونائمون. يا حكامنا! إلى متى تنامون؟ إلى متى تصبرون؟ أليسوا بني آدم يشعرون بالأذى والألم. أفيقوا، أفيقوا! ياأهل المغرب! يا أهل المشرق! يا عرب! يا عراق! يا مصر! يا حكامنا المسلمة ألا ترون؟ ماذا يفعلُ الكفار بقدسنا، بعقيدتنا وبإخواننا المسلمين. سكت الرصاص فيا حجارة حدثي...أن العقيدة قوة لا تهزم

أين ذهب غيرتكم؟ إنهم بشر يستحقون الرحمة والإنصاف. لماذا لا تثير غضبكم الصواريخُ التي نزلت على رؤوس هولاء الأطفال الصغار الأبرياء المظلومين، وعلى رووس نساء المسلمين صباحَ مساء؟!؟! يا للظلم! وفي كل بيت بكاء الأطفال الصغار يزحف الكفار إلى بيوتهم ويخربون مساجدهم ومستشفياتهم ولم تكتحل عيونهم بنوم، هم في سجن يذوقون كل يوم صنوفا من العذاب والهوان. يا فراعنة الزمان! لا تكونوا مغرورين بملككم وقوتكم، ولا ترعبونا بما عندكم من الطاقات الحربية! بل نخيفكم من بأس الله وبطشه! اعلموا أن هذه الحياة حلم من الأحلام وأن الدنيا ظل زائل. خافوا من عذاب الله إن عذاب الله قريب.

يا ربّ لقد خانهم حكامنا ويفكرون في مصالحهم الخاصة، ومنع الناس عن الجهاد. يا رب ما هي جريمة أهل غزة؟! جريمتهم أنهم اختارو ولاية الإسلام، أم أنهم يؤمنون بالله؟! أهذا جريمتهم؟! رجال لا يعرفون النفاق ولا يبيعون دينهم ولا عرضهم ولا أرضهم! أهولاء الرجال يستحقون الظلم؟! في الأخير ندائي إلى إخواننا المسلمين والمجاهدين، فأطلب منكم أن تصبروا وتحتسبوا الأجر في هذه المصيبة! تذكّروا قول الله تعالى: وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ». عليكم أن تقوموا قدر استطاعتكم بالدفاع عن أنفسكم وحرماتكم، معتمدين على الله تعالى. اطلبوا النصر منه وكونوا واثقين بنصر الله تعالى. قال في كتابه: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ». اللهم اجعل ثأرنا على من ظلمنا، وانصرنا على من عادانا، ولا تجعل مصيبتنا في ديننا، ولا تجعل الدنيا أكبرهمّنا ولا مبلغ علمنا ولا غاية رغبتنا، ولا تسلط علينا بذنوبنا من لايخافُك فينا ولا يرحمنا.

مقبل نحو المنون مسرع نحو الجنان

للطالب: محمد مياخيل

الحمدلله الذي جعل الجهاد ركنا من أركان دينه، وجعل شهداء دينه أحياء في الدنيا والآخرة، وجعل لونهم لون الدم وريحهم ريح المسك، وجعل قبورهم روضة من رياض الجنة، وجعل منازلهم العالية تحت عرشه ويرزقهم بما وعدهم.

نظرة عابرة إلى أفغانستان قبل طالبان:

منذ أتذكر كانت أفغانستان تحت سيطرة بلاد غربية كثيرة منها: بريطانيا، ولا سيما أمريكا، وكانت هذه البلاد تحكم عليها وتعمل ماتشاء وتفعل ما تحب، وهذه البلاد خدعت الشعب الأفغاني خدعة ماكرة على أننا نُعَمِر المدائن، ونجدد بناء ما خرب من البيوت في قراكم البعيدة وأماكنكم القديمة، وعماراتكم الضعيفة، ولفّقت ما لفّقت من وعود مزيفة، فانخدع من كان في عقيدته متزلزلًا، وفي إيمانه متشككا، حتى غُزيت واستُعمرت أفغانستان العزيزة استعمارا مطلقا، وظلّ الاحتلال يعلّمهم الأباطيل المحقّقة والخرافات الملفّقة التي يتعلل بها كلما ضاقت عليه الحيل وعييت بهم العلل.

ولا تزال تجتهد أمريكا أن تحمل عقيدتها الفاسدة، وإيمانها المادي التافه، وفكرتها الديمقراطية الخسيسة على هذا الجيل الغيور الحمِس. ولكن أراد الله جل وعلا أن تكون أفغانستان للمحتلين تربة مظلمة نكدة ومصرعًا مخيفًا يتحقق لهم فيها انكسار

تاريخي بأيدي العماء المناضلين في هذا البلد، البلد الذي ربَّى الشهداء في حضنه وقدّمهم للشهادة في سبيل الله، البلد الذي أنجب الأبناء والبنات المفتونين والمشغوفين بالشهادة، البلد الذي ألقى أفلاذَ كبده أمام الكفرة الفجرة، البلد الذي ترعرع فيه سلطان عادل سلطان محمود غزنوي والمجاهد المقتدر ملا عمر، والإمام الهمام أبو حنيفة رحمهم الله، البلد الذي سجَّل للطغاة والبغاة والكفار بالدموع والدماء هزيمتهم الشنيعة، وكسر أنف الفجار والجبابرة -بإذن الله- حتى ارتعدت فرائص ملوك أوروبا ومن كان ينظر إلى الإسلام نظرات شزراء. وعلى أيدي هؤلاء المجاهدين سقطت عروش الكفر، وتحطَّمت شعائر الإلحاد، وذلت رقاب الجبابرة والطغاة ودانت لهم الممالك، فأنشأ الله تبارك وتعالى جيلا شهما من الشعب الأفغاني، مقبلين نحو المنون، مسرعين نحو الجنان، مستسلمين للإسلام، مؤمنين بالله ، موقنين بمواعيد الله، أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين، أشداء على الكفار، رحماء بينه، كما وعدهم الله في كتاب لا يمحى ولا يبدل: «نَصْرٌ مِّنَ اللهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ» كأنهم امتزج إيمانهم بدمائهم وجعل يجري في شراييهم، واختلطت عقيدتهم الزاهية بقلوبهم الطيبة، وتغلغلت فيهم الشجاعة والشهامة والمهابة، وتجدهم يؤثرون الدار الآخرة على الدنيا ورضى الله على كل شيء.

وجعلت الأيام تمضي والسنون تمر... فإذا الأعداء تتسلط والفرق تتشتت؛ وما طال بالشعب الأفغاني المطال حتى اضطرّ عدد كبير منهم للهجرة إلى البلاد المجاورة.

وبعد مشقات عديدة ومقاساة صعوبات كثيرة حين لم نكن نسمع أي أخبار من التهجير أو النزوح في البلاد المجاورة كان النازحون من الشعب الأفغاني يلقون من أذى البلاد المجاورة ما لم يلقه سواهم، ويعانون من قسوتهم، وبطشهم، وغلظ قلوبهم، مالم يعانه غيرهم، وصبروا هم ومن معهم من المستضعفين على الابتلاء في سبيل الله، حتى استقروا في إحدى البلاد المجاورة أكثر من عشرين عاما، وفتح الله سبحانه وتعالى لهم على رغم هذه المشاكل والعقبات أبواب الرحمة والبركة، كما قال جل وعلا: «وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً» وعلى هذا كانوا يعضون عقيدتهم وديانتهم بالنواجذ، ووسَّع الله في دنياهم ودينهم بما أنهم كانوا يتعاونون مع الفقراء والمساكين والمهاجرين، ولا سيما المجاهدين في سبيل الله والمدارس الدينية رجاء أن تنجب رجال دين لهم حماسة رادعة يكونون جنة تقي الدين عن كل مكروه، ويترّسون صدورهم للدفاع عن مبادئه. ولا تزال تزداد الحروب ، وتبسط الأعداء سيطرتها، وتتفكك الشعوب... فإذا الناس قد جفت منهم الحلوق، ويبست فيهم العروق، وتشققت منهم الجلود، وسالت الدماء، واستولى عليهم اليأس... ولكنهم على الرغم من هذا كله يرددون نشيدهم العلوي: «إن الله معنا» كأنهم يسمعون صوتا من السماء يسلّيهم: «صبراً آل أفغان فإن موعدكم الجنة».

تغيرت الأحوال بعد ذالك، فقد أنجز الله وعده، ونصر عباده، وكسر الأعداء وحده، وأترع الأرض بنور الإيمان واليقين، ورفع راية وحدانيته بين السماء والأرض: «لا إله إلا الله محمد صلى الله عليه وسلم رسول الله، وبعد الإنجاز هدأت النفوس المعذبة، وقرت العيون الشاخصة، وعلت الوجوهَ المكدودةَ ابتسامة رضى ولا تكاد الدنيا تسعهم من الفرح، فلا كان ولا يكون مثلهم، فهم غيظ الأعداء، وأهل الولاء والبراء، وأنصار الدين، فهم من صبغوا أنفسهم وأروحهم وقلوبهم بصبغة الله جل وعلا وبسيرة النبي صلى الله عليه وسلم وبصفات الصحابة رضي الله عنهم، وكانت سيرة الصحابة-رضي الله عنهم- تغذّي الأرواح، وتهذّب النفوس، وتنوِّر العقول، وتشحِّذ الهمم، وتقدِّم الدروس، وتسهِّل العبر، وتنضج الأفكار، كانوا والله أفضل هذه الأمة، وأبرَّهم قلوبا، وأعمقهم علما، وأقلهم تكلُّفا، فهذا الشعب -أي: الشعب الأفغاني- أدرك سيرة الصحابة وتأثَّر منهم، وأحيى سيرة النبي والأصحاب في حياته، وكان لا يريد إلا ابتغاء وجه الله، ثم رزقهم الله تعالى الفوز والفلاح والسعادة وأراهم أن وعدالله حق وكذلك، أن الله لا يخلف الميعاد، وحقَّق الله للذين يريدون انكسار المسلمين واستيصال المؤمنين في صفحات التاريخ هزيمة منكرة لا يمل الزمان من ترادها ولا تشبع الآذان من سحر نشيدها.

رجل أنقذ دولة

للطالب: دانيال درويشي

لما كانت الجامعة على وشك النهاية من العام الدراسي طفق الطلبة يشدّون رحالهم ويأخذون أهبتهم كالطيور الرّحّالة تثوي مدة بمكان ثم تحشد قواها للرحيل، فترفرف وتغيب عن الأنظار، فكل طالب يختطّ عن عطلته ويدبّر الشؤون في خاطره من النشاطات الدينية والأمور الدنيوية. وإني كنت متلهّفًا لمطالعة سير المجاهدين الفاتحين الذين بذلوا المهج في المنهج القويم، وضحّوا بأنفسهم وجميع متطلّباتهم، فماتوا فدىً لتكون كلمة الله هي العليا.

ولمّا يُذكر عن السمات الحميدة والميزات الحسنة من الرجولة والبطولة والمروءة يهجس في أنفسنا ويلوح لنا أن الحديث عن الأبطال والبواسل يوجز في الذين طار ذكرهم في الآفاق، وبلغوا مبلغا عاليا من الصيت والشهرة، كالخليفة الثاني سيدنا عمر بن الخطاب، وسيف الله المسلول خالد بن الوليد، وسيد الشهداء حمزة بن عبدالمطلب -رضي الله عنهم- ومَن بعدهم مِن يوسف بن أيوب المعروف بصلاح الدين الأيوبي، والسلطان محمد الفاتح، ومحطّم صفوف المغول سيف الدين قطز -رحمهم الله- وغيرهم من القوّاد الفاتحين والزعماء الحازمين.

وأما الكثير منا نتغافل عن المجاهدين المغمورين الذين لم تقرع أسماءُهم أسماعَنا، ولكنهم خلدوا أسماءهم، وصمدوا أمام العراقيل صمود الجبال الرّاسيات، وغمروا صفحات التاريخ بمغامراتهم وتضحياتهم ومجاهداتهم القيمة، وجازفوا بأنفسهم فأعادوا النخوة والعزة للإسلام المبارك. فباحث التاريخ لا يتعرّف على جميع المجاهدين ولا يدرك خدماتهم وفتوحاتهم بأسرها إلا إذا تمعّنَ في أغواره وأعماقه.

تأزّمت الحالة في الأندلس:

في القرن الخامس من الهجرة كان مسلمو الأندلس في أخطر اللمحات وأهم اللحظات من تاريخهم، وقد اضمحلت الدولة الأموية الجسيمة التي تروّعت الممالك الغربية والبلاد الأروبية من سطوتها وصولتها، ولا يشق لها غبار. والآن قد تشتّت جمعهم وتفرّقَ شملهم فكانوا دويلات متفرقة منبثّة.

وثب المترصدون الذين كانوا يترقبون انحطاط المسلمين في معاقلهم على صروح فخمة وبروج مشيدة شيدها عبد الرحمن الداخل الذي لقب بصقر قريش منذ ثلاثة قرون ونهض في المغرب فأقام الدولة الأموية من جديد بعدما اندثرت في المشرق. فترى أن الملوك اللئيمة والحكام الدنيئة الذين أفسدوا أخلاقهم بالشراهة والنهمة والظلامة، اعتلوا دست الرئاسة وقاموا بتقسيم الأندلس الحبيبة إلى حكومات صغيرة متناثرة، فتهاجم للاستحواذ عليها جم غفير من المدعين فلا ينتدبون أحدا من بينهم للتحكم إلا وقد اغتيل، ثم يجدونه صريعا ميتا. فاستولت الرهبة والوحشة تلك البلاد المخضرة الوسيمة، وأحاط بها الاضطهاد والإجحاف، ودار حولها الاضطراب والفوضى من كل حدب وصوب. ولو عدت إلى ذلك العهد وتعيش فيها لتشاهد بأم أعينك أن معظم الحكماء والأمراء كانوا في مستوى خافض من المجتمع ولم يكن لهم خردل من الكفاءة فيحملون على السواد الأعظم الضرائب الباهظة والمصاريف الفادحة، متّكئين على الأرائك ويعطونها الملوك النصرانية عن يد وهم صاغرون، مخافة أن تسطو عليهم. ربما لا تتجاوز رحابهم الحكومية على مدينة أو ناحية صغيرة إلا وهم يتبعون التلقب بألقاب الخليفة والسلطان، فكان همّهم الأعظم التسامي مع الخلفاء العباسية في الألقاب، فأحدهم: المقتدر بالله أو المؤيد بالله، والآخر الموفق بالله والمعتضد بالله و...

مضافا إلى ذلك كله ترى المنشدين والمطربين مصطفّين في محكمتهم عوضا عن العلماء والساسة، فجرى التغرد والترنيم على ألسن الصغير والكبير، وفشت أنواع من المزامير وآلات الموسيقى في الأسواق والمتاجر بدال السيوف والدروع وغيرها من الأسلحة الجهادية. والميادين التي كانت مكثّقة من المجاهدين الخيّالة والفارسين السيّافة ترعت بزمرة من الشعراء الذين يتّبعهم الغاوون . فقامت الحفلات الغنائية والمجالس الشاعرية مقام المدارس والمعاهد التي ما أسّست إلا للمباحث العلمية، فتألّق فيها الفحول من العلماء الأفذاذ. وجدير بالذكر أن يقال في هذا المقام: هم قد استبدلوا الذي هو أدنى بالذي هو خير.

ومن جهة أخرى تبصر أن أزمة الحروب الداخلية في الأندلس قامت على قدم وساق والمسلمون يتقاتلون بكل جوارحهم بدل أن يتصدّوا إلى اقتحام النصارى.

وبين الفينة و الأخرى تنظر نظرة عين أن القوي يبطش بالأضعف والأضعف يدرأ القَحمة بالتحالف مع جيرانه الكفرة على ما يلوح، ولكن في واقع الأمر يسعى إلى حتفه بظلفه.

ظلمات بعضها فوق بعض نغصت الحياة وأقضّت المضاجع، وأمواج ظلمانية تهلك الحرث والنسل. فضاقت الأرض بجميع الناس على رحبها وسعتها ولا تسوّغ لهم هذه الظروف المستعصية شيئا، كأنما أغشيت وجوههم قطعا من الليل مظلما.

فقد أصبحت هذه الورطات بقوتها سيلا جارفا وعبابا قويا لا يقتدر أحد على إيقافها. ولكن بقي مثقال ذرة من الرجاء والأمنية في الناس لما أنهم كانوا يوطّدون الآمال بهذه الآية، هاجسين في أنفسهم: «يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ» وقوله تعالى: «أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ».

كانوا يتوقعون النجاح من أحد ويحدّقون الأنظار إلى

السماء راجين من الله تعالى أن يمنحهم منقذا باسلا ينجيهم من هذه الأحوال المتدهورة، لا يخاف في الله لومة لائم ولا يهمّه أمر إلا نصرة دينه وإقامة أحكامه في شتى أقطار العالم. فلاحَ لهم طيف شخص من طيّات الظلام. فكان هو المحظوظ الذي أراد الله به خيرا، الكمّي المقدام، يوسف بن تاشفين.

فقد كان من أصحاب المروءات المعدودين وأبرز قواد الإسلام والمسلمين، وأشهرهم في التاريخ الإسلامي. إنه في واقع الأمر مجهول في الأرض معروف في السماء. لا يطلع و لا يتعرّف عليه إلا ما قل وندر.

المولد والنشأة:

ولد يوسف بن تاشفين -ثاني ملوك الدولة المرابطية بعد ابن عمه أبو بكر بن عمر اللمتوني- حوالي سنة 400 للهجرة في منطقة لمتونة. وهي إحدى قبائل صنهاجة بموريتانيا، ووالده إبراهيم بن تورفيت ووالدته هي فاطمة بنت سير بن يحيى.

نشأ ابن تاشفين على حب الجهاد داخل أسرة ملتزمة بدينها الإسلامي. مثل باقي قبائل صنهاجة آنذاك. كما كان شجاعا قياديا وهو صغير السن. الأمر الذي مكّنه من الالتحاق بالحركة المرابطية التي أسسها الشيخ عبد الله بن ياسين. وبعد وفاة الشيخ عبد الله تولى أبو بكر بن عمر اللمتوني -ابن عم يوسف بن تاشفين- مقاليد الحكم بالحركة المرابطية.

استمرت حركة المرابطين في النمو، والتحق بها آلاف المريدين. وواصل أبو بكر بن عمر نهجه في الجهاد وتوحيد البلاد مستعينا في ذلك بابن عمه الأمير يوسف بن تاشفين وعيّنه قائدا للجيش وعمره 48 عاما.

حركته في إفريقا:

قبل إشراقه في الأندلس، قام بتوحيد الإفريقا، وتولى قيادة إمارة البربر، وجمعهم تحت راية واحدة وحثّهم على الاتحاد والتوحيد وحرضهم على الاتفاق والتوقيق وغرس في قلوبهم إيمانا راسخا ويقينا صادقا وأشعل في أنفسهم الحماسة الدينية والحميّة الإسلامية فلم يزل يحارب مع أصحابه الصناديد الذين لُقّبوا بالمرابطين والملثّمين سنة 454 من الهجرة ويفتح البلاد فتحا بعد فتح، فكان النصر حليفه ولم يأل جهدا للعثور على الشأو البعيد، فخطا خطوات واسعة حتى أنجز الله وعده وأنفذ عهده وحقّق قوله: «إِن تَنصُرُوا اللهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ».

فقد استحوذ على بلاد الإفريقا بأسرها من تونس شرقا إلى المحيط الأطلنطي غربا، ومن بحر الروم شمالا إلى ثغور النيجر والسنغال سنة 474 للهجرة، فأحرز نصرا مؤزّرا طوال عشرين سنة.

سماته الشخصية:

ولكن مع ذلك كله لم يرفّه عن نفسه ولم يتنعّم بما تكسّب، ولم يعش عيشا رغيدا كدأب الملوك الجبابرة والسلاطين الطاغية، بل اتّخذ الحكماء العدلة والأمراء الزهدة قدوة لحياته البسيطة، واقتفى أثرهم وترسّم خطاهم، كالخليفة العادل عمر بن عبد العزيز. فكان يترصّد الثغور منذ حياته ويتفقّد أنباء ما جرى من جوانبه، ويسبر آراء ذوي الرأي. وهو أوّل من لقّب بالذئب في التاريخ الإسلامي. قام بإطراءه ووصفه الفحول من الأئمة والعلماء، فكتب عنه الإمام الذهبي في سير أعلام النبلاء: «كان ابن تاشفين كثير العفو، مقربا للعلماء، وكان أسمر نحيفا خفيف اللحية، دقيق الصوت، سائسا حازما». ووصفه ابن الأثير في كتابه: «الكامل في التاريخ» بأنه كان حليما كريما ديّنا خيّرا، يحب أهل العلم والدين، ويحكّمهم في بلاده، و يبالغ في إكرام العلماء والوقوف عند إشارتهم، وكان إذا وعظه أحدهم خشع عند استماع الموعظة ولان قلبه لها، وظهر ذلك عليه، وكان يحب العفو والصفح عن الذنوب العظام».

بطل معركة الزلّاقة:

ولم يمض طويل وقت من استيلاءه بالمغرب حتى بلغه ما تهافت من الأحداث على الأندلس من وثبة الملوك النصرانية وتحميلهم غرامات فادحة وضرائب باهظة على الناس جميعا، فدخل عليه لجنة من العلماء والملوك، واستغاثوه على الحكام الكفرة الظالمة وقد يطرق مسامعه حديث الطفل المظلوم الذي استهلت عيونه دموعا مناديا: يا لله للمسلمين...! يا لله للمسلمين...!! فرأى أسد المرابطين من قواضي الذمة أن يقوم بنصرة الإسلام والمسلمين، فحشد جيوشه الذين كانوا على مقربة من أربعين ألف فارس. فاتخذ خطوة حاسمة ووطّد العزم بأن ينتهب الطريق إلى الأندلس.

ولمّا اطلع عليه آلفونسو السادس، فما آذن بالحرب في الممالك الأروبية حتى تدفّقت زوبعة من الجيوش المدجّجة بالسلاح فبعث إليه رسالة مهدّدة وأخبره بجيوشه السيّالة المدمِّرة وكان على ثقة بالنصر والسطوة عليه ولكن لم تستثر غضبه هذه الأحاديث التافهة ولا يتعاظمه شأنه، فردّ عليه بقوله: «فسوف ترى». فما إن وقع بصره على مقاله حتى أخذته الدهشة والوحشة، فعلم أنه يقابل زعيما مزمعا جادّا. ولمّا كانت الأندلس على شفا حفرة من النار وتلفظ أنفاسها الأخيرة دارت رحى الحرب الهائلة الضخمة التي لم تشهد مثيلها ولم تعرف نظيرها قبل. فقد آن أوان ظهور الحق وزهوق الباطل، فحدث صراع بين الإسلام والنصرانية يوم الجمعة من 12 رجب، سنة 497 الهجرية، فكان المسلمون المقاتلون من الغرب والأندلس على أهبة الاستعداد يتصافّون متراصّين في الوقعة، مرتقبين أمر الأمير الشجاع الباسل الذي يتعدّى عمره الثمانين وقد تموج الهيبة والرزانة في طلعته، فخاض غمار الحرب مكبّرا كخوض الأسد الذي يزأر و يمزق كلما واجهه. فعندما بلغت الحرب مبلغ الجدّ اتبع ملك الملثّمين أسلوبا جديدا واستخدم فنا رائعا من فنونه الحربيّة أفضى إلى انسحاب الجيش النصراني، فنكصوا على أعقابهم وولّوا مدبرين. فإذا بالمسلمين كانوا يطاردونهم ويعقّبون آثارهم.

فبالتالي غلبوا عليهم واستأصلوا شأفتهم بإذن الله تعالى. هكذا نجّى الله أندلس التي كانت على وشك الدمار والردى، تتخبّط في الورطات والمناقع بأسد الصحراء وملك الملثّمين والمرابطين يوسف بن تاشفين. والحقّ يقال: إن المؤرخين وفّوا القسم الأكبر في التاريخ الإسلامي من حق يوسف صلاح الدين الأيوبي، فزخرفت المكتبة العربية الإسلامية بترجمات حياته، وتحليلات سيرته، وبدراسات حطين؛ لذلك فاسمه قريب من مسامع الصغير والكبير، ولكن لا علم ولا معرفة لهم بيوسف الذي ضحّى بالنفس والنفيس لوجه الله تعالى. فمِن الأخطاء التاريخية أن مؤرخي الحروب الصليبية في المشرق ينسون الحروب الصليبية في المغرب.

نضّر الله وجه يوسف بن تاشفين وأقرّ عينه بصحبة خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم وأكرمه بالجنة التي وعد المتّقون.

.....

المنابع:

1- القرآن الكريم.

2- سير أعلام النبلاء للإمام الذهبي.

3- الكامل في التاريخ لابن الأثير.

4- البداية و النهاية لابن الكثير.

5- الزلاقة بقيادة يوسف بن تاشفين للدكتور شوقي أبو خليل.

6- اسبان اندلس يوسف بن تاشفين لنسيم حجازي والمترجم: عبدالمجيد درك زهي

7- موقع الجزيرة

تلألأ الغافقي في الأندلس تلألؤ القمر

للطالب: سعيد احمدي

الحمد لله الذي جعل الإسلام سراجا ينوّر العالم ويهتدي الناس في ظل أحكامه وأوامره، وأشكر الله تعالى حيث جعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمتَه هي العليا، وأحمده حيث جعل لنا الجهاد في سبيله طريقا سهلا قصيرا للوصول إلى رضاه وقال: «وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا، بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ. فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ». وقال رسوله الكريم صل الله عليه وسلم: «ما من أحد يدخل الجنة يحب أن يرجع إلى الدنيا وله ما في الأرض من شيء إلا الشهيد يتمنى أن يرجع إلي الدنيا فيقتل عشر مرات لما يرى من الكرامة».متفق عليه.

كما فهمنا من النصوص أن للشهيد عند الله درجات عالية ومكانة مرموقة، وهذا لأجل الدين؛ لأن الدين محبوب عند الل؛ه حيث جُعل الأنبياء كلهم فداءَه، وسُقيت هذه الشجرة بدمائهم، فأصبحت مخضرة إلى الآن. والله تعالى أقام أبطالا عبر التاريخ قد بذلوا جهودهم لإعلاء كلمة الله وتبليغ هذه الرسالة المحمدية منهم عبدالرحمن بن عبد الله الغافقي.

كان يعيش في عهد الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز ولما ولِيَ الأمر قد عزل بعض الأمراء وجعل بعضا منابهم، وكان على طليعة الذين ولّاهم الأمر سمح بن مالك؛ فإنه تولّى أمور الأندلس والمدن المفتوحة في جوارها، فرأى من اللازم على نفسه أن يفتش عن المساعدين الأخيار كي يعاونوه في هذا الأمر، فسأل جلساءه أبقي أحد من التابعين في هذا البلد؟ أجابوه: نعم! إن التابعي الجليل عبدالرحمن بن عبدالله الغافقي قد بقي بين أظهرهم، فطفقوا يعدّون محاسنه ومناقبه: إنه عالم بكتاب الله وسنة رسوله صلو الله عليه وسلم، وخبير بميادين الجهاد، ومشتاق إلى الاستشهاد اشتياقًا وافرا، وزاهد عن الدنيا، وأضافوا على ذلك أنه لقي الصحابي الجليل عبد الله بن عمر رضي الله عنه وتأسى به، فاستحضره فلما أتاه رحّب به أكرم الترحيب وطرح له أسئلة، أراد أن يسمع رأيه ليروزه على قدراته، فإذا هو أعظم مما ذكر له، ففوّض إليه كثيرا من الأمور في الأندلس.

ما مضى غير قليل حتى قصد السمح بن مالك أن يغزو بلاد فرنسا كلها ليضمّها إلى سلك الدولة الإسلامية، ثم يصل من طريق فتح دول البلقان إلى القسطنطينية تحقيقا لبشارة الرسول صلى الله عليه وسلم. فكانت الخطوة الأولى لتحقيق هذا الهدف العظيم موقوفا على فتح مدينة «أربونة» هي من أكبر مدن فرنسا التي تجاور بلاد الأندلس، وكلما انحدر المسلمون من جبال «البرنية» وجدوها جبلا

راسيا انتصب أمامهم.

عندما حاصر السمح بن مالك مدينة «أربونة» اقترح على أهلها الإسلام أو الجزية ولكن عسر عليهم قبول كل منهما فأبوا. فهبّ يهاجمهم المسلمون هجمات شديدة وقذفوهم بالمنجنيقات حتى انهزمت المدينة بعد أربعة أسابيع من الجهاد البطولي الذي لم تشهد أروبا نظيرا لها، فتوجه قائد المسلمين الفاتح بجيشه الجرار إلى عاصمة «أوكتانيه» مدينة «تولوز» فهاجمهم بالآلات الحربية التي لم تشاهدها أروبا قط، فقامت الحرب على قدم وساق، وقاتل المجاهدون بكل جوارحهم ولكن حدث حينئذ ما لم يخطر ببال أحد، فلنترك الحديث للمستشرق الفرنسي «رينو» ليحكي لنا ما حدث: لما التقى الجمعان كانا مثل الجبلين الضخمين. دارت بين الفريقين رحى معركة ضروس لم يسبق لها مثيل في التاريخ وكان السمح يظهر في كل مكان ويتواثب أمام عسكره في كل اتجاه، وفي هذه الساعة فجأة أصابته رمية سهم فخرّ صريعا عن جواده ولما رأى المجاهدون قائدهم صريعًا على الأرض وشاع الخبر بين صفوفهم، فتّ الموقف في عضدهم، فأخذت تتصدّع صفوفهم وغلبهم الرعب.

نعم! كان المجاهدون كمثل العطشان في الصحراء قريبًا من الموت، يلفظ أنفاسه الأخيرة وقد انقطع رجاءه، وأدبر على الدنيا، إذا رجل يقبل عليه بالماء وهو يمدّ يديه إلى الماء ليرجع إلى الحياة مرّة أخرى، فهذا العطشان ماذا يشعر؟ أقادر أنت على تصور فرحته وبهجته؟ هو الذي أجاب دعوة هذا الجند الذي فقد قائده، هو الذي أنقذ هذا الفوج الذي قد وقع على شفا جرف هار من المهلكة.

نعم! هو عبدالرحمن الغافقي رحمه الله تعالى. قد أمر الجيش بالإنسحاب ليقدروا على كرّة مجددة. وصل خبر شهادة القائد الجريء والبطل الكميّ السمح بن مالك رحمه الله تعالى إلى دار الخلافة، فأوقد في قلوب المسلمين نار الحمية، فأسندت الخلافة أوامرها بإقرار الجند على مبايعتهم لعبد الرحمن الغافقي، فلما تولّى الإمارة بادر على استعادة ثقة الجند بأنفسهم، واسترداد شعورهم بالعزة والقوة والغلبة، وتحقيق الهدف الكبير الذي قد طمح إليه قادة المسلمين في الأندلس. إن الغافقي كان على يقين بأن الجيش لا يكون على استعداد للمعارك الكبرى إلا بطريق إصلاح النفوس وتزكيتها، وهو يعتقد أنه ما من أمة تكون مبانيها مصدّعة ومهدّدة من الداخل تحقّق جميع متطلّباته.

من جراء ذلك أمر المنادين أن يجولوا في المدن وأعلنوا أن من له مظلمة عند وال أو قاض أو عامة الناس فليرفعها إلى الأمير، ولا فرق بين المسلم وغير المسلم في ذلك. فهو بنفسه قد نظر في المظالم مظلمة مظلمة، فأخذ حق المظلوم من الظالم ثم نظر في أمر عمّاله فعزل من سبقت منه خيانة وعوج وولّى مكانه من استوثق بصدقه وأمانته.

وكان إذا قدم مدينة جمع الناس فخطبهم وحثّهم على الجهاد والاستشهاد في سبيل الله، فكان الغافقي قد طابق بين أقواله وأفعاله، ودعّم الآمال بالأعمال منذ اللحظة الأولى لولايته. طفق يُعدّ العتاد، ويستكمل السلاح، ويعمّر المعاقل التي وقعت في الجبال المشرفة على العدو، وقد بنى حصونا كثيرة وقناطر متعددة، وكان يجلس مع كبار أهل الذمة كما يجلس مع كبار المسلمين ويسألهم عن أوضاع الحكام والولاة والمدن، وفي عامين كاملين، جهّز للغزو الكبير جيشا قد امتلأت قلوبهم من حب الاستشهاد وابتغاء وجه الله تعالى.

فأستحسن أن تسمعوا وصف هذا الجيش الذي غزا أروبا بعد فتح الأندلس من الشاعر الإنكليزي «سوذي»: أحزاب لا تحصى من عرب وبربر وفرس وقبط وتتر قد انضموا تحت راية واحدة لم يجمعهم إلا إيمان ثائر، راسخ الفتوة ووحميّة متقدة كالجذوة وأخوة مذهلة لا تفرّق بين البشر. كان قائدهم في الثقة بالنصر لم يقلّ من جنوده بعد أن سكروا بخمر الغلبة. افتخروا بقوتهم القوية التي لا يقابلها شيء وأيقنوا أن جيوشهم لايتبعها العناء. هم مازالوا فتية متحدة كما كانوا في المرتبة الأولى و كان انطلاقهم إلى الأمام ليهزموا الغرب فيصبح منقادا لهم كالشرق

و يطأطئـون الـرؤوس إجـلالا لاسـم محمـد صلـى الله عليـه وسـلم حتـى يسـلك الحـاج مـن أقاصـي المتجمّـد بأقـدام الإيمـان الطريـق إلـى رمـال مكـة المحرقـة. نعـم! أيهـا الشـاعر مقالتـك صـدق هكـذا كان في الواقـع. إن الجيـش الـذي قـد جمعـه الغافقـي رحمـه الله يبلـغ مئـة ألـف مجاهـد مـن الذيـن في صدورهـم قلـب أسـد و في عروقهـم عزمـة مـارد. فاسـتعد الغافقـي رحمـه الله العتـاد وانطلـق بجيشـه اللجـب مـن شـمال الأندلـس على جنـوب فرنسـا، وكان يفتـح البـلاد ويطهّـر المـدن والقـرى مـن دنـس الشـرك والكفـر، ويعطّرهـا بعطـر التوحيـد ويحيّيهـا بتحيّـة الإسـلام، ويعلّمهـا تعاليـم القـرآن والأحاديـث النبويـة، وغنِـم منهـم غنائـم عـزّت على الحصـر.

مـن المـدن اللتـي قـد سـقطت في أيـدي المجاهديـن: مدينـة «آرل» و«بـوردو» التـي كان سـقوطها فاتحـة لسـقوط مـدن كثيـرة خطيـرة أهمّهـا: «ليـون» و«بيزانسـون» و«سـانس»، فاهتـزّت أوروبـا أقصاهـا إلـى أقصاهـا لسـقوط نصـف فرنسـا الجنوبـي، فـدبّ الصريـخ في كل مـكان يدعـو النـاس إلـى صـدور الطـرق على المسـلمين، وقطـع هجماتهـم، فاسـتجابت أروبـا لدعـوة الداعـي واجتمـع النـاس تحـت لـواء «شـارل مارتـل» وتسـلّحوا بـكل شـيء يصلـح للقتـال، وفي العشـر الأخيـر مـن شـهر شـعبان سـنة أربـع ومـأة للهجـرة زحـف الغافقـي بجيشـه الجـرّار على مدينـة «بواتييـه» وهنـاك قابـل جيـوش أروبـا الجـرارة بقيـادة «شـارل مارتـل» فوقعـت بيـن هذيـن الفريقيـن إحـدى المعـارك الفاصلـة لا في تاريـخ المسـلمين والفرنجـة فحسـب، كان الجيـش الإسـلامي في ذروة انتصاراتـه الباهـرة، وقـد ثقلـت الغنائـم على كواهلهـم لكثرتهـا؛ فهـذا الأمـر قـد أحـزن الغافقـي ولهـذا أشـفق على جنـوده لعلهـم تشـتغل هـذه النفائـس قلوبهـم عنـد البـأس فتختـلّ حواسّـهم، فلـذا رأى الأصـوب أن يجمـع الغنائـم تمامـا في مخيّمـات خاصّـة ويجعلهـا وراءالمعسـكر قبـل إثـارة القتـال، فلبـث الجيشـان الكبيـران بضعـة أيـام قبالـة الآخـر دون انفعـال وحركـة كسلسـلتين مـن الجبـال، قـد كان كل منهمـا يخشـى بـأس عـدوه، فشـعر الغافقـي أن طـول الوقـت على هـذه الحـال يطفـئ نـار الحميـة في صـدور رجالـه، فآثـر أنـه هـو البـادئ بالهجـوم، فانقـضّ بفرسـانه على صفـوف العـدو انقضـاض الأسـود الكاسـرة، واسـتقامت الفرنجـة قبالهـم كالأطـواد الراسـيات، واسـتمرّ النضـال بيـن الفريقيـن سـبعة أيـام.

فلمـا كان اليـوم الثامـن كـرّ المسـلمون كـرّة شـديدة حتى انشـقّت صفوفهـم شـقاقا عميقـا، فـرأى المجاهـدون تلألـؤ الظفـر عنـد انكشـاف الغيـوم المتراكمـة، فحينئـذ غلبـت فئـة قليلـة على غنائـم المسـلمين، ولمّـا رأى المسـلمون أن غنائمهـم كادت أن تقـع في أيـدي أعدائهـم مـع الأسـف الشـديد انفصلـت عـدة كثيـرة مـن الجيـش لاسـترداد الغنائـم؛ فلذلـك تصدّعـت صفوفهـم وتضعضـت جموعهـم، وفيمـا كان سـعى بطـل الإسـلام عبدالرحمـن الغافقـي غايـة سـعيها لاتحـاد المسـلمين وجمعهـم في أرض المعركـة، فجـأة أصابـه سـهم نافـذ فهـوى عـن فرسـه كمـا يهـوي العقـاب مـن فـوق قمـم الجبـال، فخـرّ صريعـا على أرض المعركـة.

لمـا رأى المسـلمون هـذا المشـهد المحـزن عمّهـم الذعـر وسـادهم الاضطـراب، فاشـتدت عليهـم هجمـات العـدو ولـم يوقـف البـأس إلا طـول الظـلام، فـكان الغـد اطّلـع «شـارل مارتـل» أن المسـلمين قـد آثـروا الفـرار على القـرار، فلـم يتبعهـم مخافـة أن يكـون انسـحابهم مكيـدة مـن مكائـد الحـرب، فرضـي على ذلـك وآثـر البقـاء في مواقعـه مكتفيـا بهـذا النصـر الكبيـر، لقـد كان يـوم «بـلاط الشـهداء» يومـا حاسـما في التاريـخ.

هـزّت أنبـاء فاجعـة هـذا اليـوم قلـوب المسـلمين هـزّا عنيفـا وزُلزلـت لهولهـا صدورهـم زلـزالا شـديدا، وقـد دخل الخبـر كل مدينـة وكل قريـة، وكل بيـت ودائمـا ينـزف جرحهـا الممـضّ مـن قلوبهـم حتـى اليـوم، وسـيظل ينـزف مـا بقـي على ظهـر الأرض مسـلم. قـال أحـد مؤرخـي الفرنسـا: لـولا انتصـار «شـارل مارتـل» الهجمـي على المسـلمين وقائدهـم الغافقـي لظلـت إسـبانيا بمسـاحة الإسـلام، ولمـا تأخّـر سـير المدنيـة في أروبـا ثمانيـة قـرون».

رحمك الله أيها الغافقي وأسعدك في الدارين.

البعيد الذي كان قريبا

للطالب: زبير سليمانبور

هل سمعت قصة التابعي الذي لم ير الرسول عليه الصلاة والسلام ولكن الصحابة منّوا أنفسهم بلقياه وكانوا عشيقين برؤياه؟

أرأيت الذي ليس له في الدنيا شيء إلا أمه العجوز التي بذل ما كان بوسعه من الجهود المكثفة للبرّ بها؟

أتعلم أن النبي بعث أصحابه لطلب الدّعاء لأمته؟

أتعلم لماذا مدحه عليه الصلاة والسلام وأثنى على بلده خيرا وقال: «أَلَا إِنَّ الْإِيمَانَ يَمَانٍ ، وَالْحِكْمَةَ يَمَانِيَةٌ، وَأَجِدُ نَفَسَ رَبِّكُمْ مِنْ قِبَلِ الْيَمَنِ»؟

والآن وصلنا إلى ما نحن بصدده وآن أوان التعرف على بطل هذه القصة.

ليس هو إلا سيد التابعين أبا عبد الله أويس بن عامر القرني الذي اتخذ سبيل الزهد والتقى، وسلك منهج الرسول الذي كان داعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا، الذي قال فيه خير البشر: «لَهُ وَالِدَةٌ، هُوَ بِهَا بَرٌّ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لَأَبَرَّهُ، فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لَكَ فَافْعَلْ».

نسبه:

أبو عبد الله أويس بن عامر بن جزء بن مالك القرني المرادي اليماني من أهل اليمن من قبيلة قرن، ووصف بهذه الصفة لأنها صفة أجداده.

ولادته:

أسفر صبح حياته بمدينة يمن، ولايعرف بالضبط وقت ولادته، وإن رجّح بعض المورخين أنه ولد في سنة التي بعث النبي صلى الله عليه وسلم فيها.

كان جمّالا -أي: راعي الإبل- لابن عمه، ويأخذ ثمنا بخسا يعيش به، ويغني نفسه عن التكدي من غيره. له من كل زخارف الدنيا أم عجوزة مريضة يحضُنها ويحفظها، والسبب الذي قد حرمه من زيارة النبي عليه السلام هو انتهاء مدة إقامته في المدينة؛ لأن أمه رخّصت له عشرة أيام.

فعندما وصل إلى المدينة لينوِّر قلبه بلقائه وزيارته رغم ذلك واجه بحقيقة مؤسفة، وهي عدم حضور النبي صلى الله عليه وسلم في المدينة. فانكسر قلبه وخابت آماله وحزن حزنا شديدا.

فهكذا بقي في المدينة بضعة أيام، ولم يفز بزيارة النبي عليه الصلاة والسلام، وقرب الأجل فاستشار نفسه فرأى الأصوب أن يمتثل أمر أمه وهو الرجوع.

صفاته:

ومن صفاته البارزة النفيسة التي تلألأ بها بين الناس أنه لم يكن ينام في الليل أبدا، وكان يقول في ليلةٍ هذه ليلة القيام، وفي أخرى هذه ليلة الركوع، وفي أخرى هذه ليلة السجود، وكان يسهر الليالي، وكان هذا دأبه في كل الليالي. من أقوال ابن عامر رحمه الله: من أحب ثلاثة أشياء فعليه نار أقرب من حبل الوريد؛

الأول: الجلوس مع الثريّ، الثاني: لبس ملابس فاخرة غالية. الثالث: أكل الطعام اللذيذ. وأيضا كان يقول: خذوا سبيل الحق سبيل المصلحين، واذكروا الموت دائما ولا تنسوه لحظة. كما أخرج ابن حبّان في صحيحه عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أكثروا ذكر هاذم اللذات؛ فما ذكره عبد قط وهو في ضيق إلا وسّعه عليه، ولا ذكره وهو في

سعة إلا ضيقه عليه». (صحيح ابن حبان)
عن أبي يعلى شداد بن اوس رضي الله عنه عن النبي صلي الله عليه وسلم قال: «الكيّس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنّى على الله». ترمزي و من أنباء النبي صلى الله عليه وسلم في مدح ابن عامر رحمه الله: ذات يوم بينما كان الصحابة جالسين في مجلس النبي عليه الصلاة والسلام وفيهم كبار الصحابة، منهم عمر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب، وأبو هريرة و... رضي الله عنهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ خَيْرَ التَّابِعِينَ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ: أُوَيْسٌ، وَلَهُ وَالِدَةٌ، وَكَانَ بِهِ بَيَاضٌ، فَمُرُوهُ فَلْيَسْتَغْفِرْ لَكُمْ». وأيضا روى ابو هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه و سلم قال: «يا أبا هريرة إنّ الله تعالى يحب من خلقه الأصفياء الأخفياء الأبرياء الشعثة رؤوسهم المغبرة وجوههم الخمصة بطونهم إلا من كسب الحلال الّذين إذا استأذنوا على الأمراء لم يؤذن لهم, وإن خطبوا المتنعمات لم ينكحوا، وإن غابوا لم يفتقدوا، وإن حضروا لم يدعوا، وإن طلعوا لم يفرح بطلعتهم، وإن مرضوا لم يُعادوا، وإن ماتوا لم يشهدوا قالوا: يا رسول الله كيف لنا برجل منهم؟ قال: «ذاك أويس القرني». قالوا: وما أويس القرني؟ قال: «أشهل، ذو صهوبة، بعيد ما بين المنكبين، معتدل القامة، آدم شديد الأدمة ضارب بذقنه إلى صدره، رام بذقنه إلى موضع سجوده، واضع يمينه على شماله, يتلو القرآن، يبكي على نفسه، ذو طمرين لايؤبه له، متزراً بإزار صوف ورداء صوف، مجهول في أهل الأرض معروف في أهل السماء، لو أقسم على الله لأبر قسمه، ألا وإنّ تحت منكبه الأيسر لمعة بيضاء، ألا وإنّه إذا كان يوم القيامة قيل للعباد: أُدخلوا الجنّة، ويقال لأويس قف واشفع، فيشفع لله عزوجل في مثل عدد ربيعة ومضر».
هذا وقد روى مسلم في صحيحه وأحمد في مسنده والحاكم في مستدركه عن عمر بن الخطاب أنّه قال: إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إِنَّ خَيْرَ التَّابِعِينَ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ: أُوَيْسٌ، وَلَهُ وَالِدَةٌ، وَكَانَ بِهِ بَيَاضٌ، فَمُرُوهُ فَلْيَسْتَغْفِرْ لَكُمْ».(صحيح مسلم كتاب: فضائل الصحابة رضي الله عنهم/باب: من فضائل أويس القرنيّ رضي الله عنه)
وروى مسلم عن أسير بن جابر قال: كان عمر بن الخطاب إذا أتى عليه أمداد أهل اليمن سألهم: أفيكم أويس بن عامر؟ حتى أتى على أويس، فقال: أنت أويس بن عامر؟ قال : نعم. قال: من مُراد، ثم من قَرَن؟ قال: نعم. قال: فكان بك برص، فبرأت منه إلا موضع درهم؟ قال: نعم. قال: لك والدة؟ قال: نعم. قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: « يَأْتِي عَلَيْكُمْ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ مَعَ أَمْدَادِ أَهْلِ الْيَمَنِ، مِنْ مُرَادٍ ثُمَّ مِنْ قَرَنٍ، كَانَ بِهِ بَرَصٌ فَبَرَأَ مِنْهُ إِلَّا مَوْضِعَ دِرْهَمٍ، لَهُ وَالِدَةٌ، هُوَ بِهَا بَرٌّ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لَأَبَرَّهُ، فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لَكَ فَافْعَلْ». فأتى أويسا، فقال: استغفر لي. قال: أنت أحدث عهدا بسفر صالح، فاستغفر لي. قال: استغفر لي. قال: أنت أحدث عهدا بسفر صالح، فاستغفر لي. قال: لقيت عمر؟ قال: نعم. فاستغفر له، ففطن له الناس، فانطلق على وجهه، قال أُسَير: وكسوته بردة، فكان كلما رآه إنسان قال: من أين لأويس هذه البردة؟

وفاته: في زمن عمر بن الخطاب وقد كانت الفتوحات الإسلامية على أشدها، غزا المسلمون آذربايجان، وافتتحوها، وقد سقطت رايات الشرك بينما ارتفعت رايات الإسلام في كل مكان. ها هو عبد الله بن سلمة أحد أبطال يوم آذربيجان يقول عن اويس: غَزَوْنَا أَذْرِبِيجَانَ زَمَنَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ وَمَعَنَا أُوَيْسُ الْقَرَنِيُّ، فَلَمَّا رَجَعْنَا مَرِضَ عَلَيْنَا -يَعْنِي أُوَيْسًا- فَحَمَلْنَاهُ فَلَمْ يَسْتَمْسِكْ فَمَاتَ، فَنَزَلْنَا فَإِذَا قَبْرُ مَحْفُورٌ وَمَاءٌ مَسْكُوبٌ وَكَفَنٌ وَحَنُوطٌ فَغَسَّلْنَاهُ وَكَفَّنَّاهُ وَصَلَّيْنَا عَلَيْهِ وَدَفَنَّاهُ، فَقَالَ بَعْضُنَا لِبَعْضٍ: لَوْ رَجَعْنَا فَعَلَّمْنَا قَبْرَهُ فَرَجَعْنَا فَإِذَا لَا قُبُورَ وَلَا أَثَرَ».
رحم الله شيخ الزاهد فقد زهد في الدنيا، فكان خير العباد في عصره، نحسبه على التقى وظلال التقوى يعيش.(سلسلة عصر التابعين ص:67)

الإدمان

للطالب: محمدطه دردي زادة

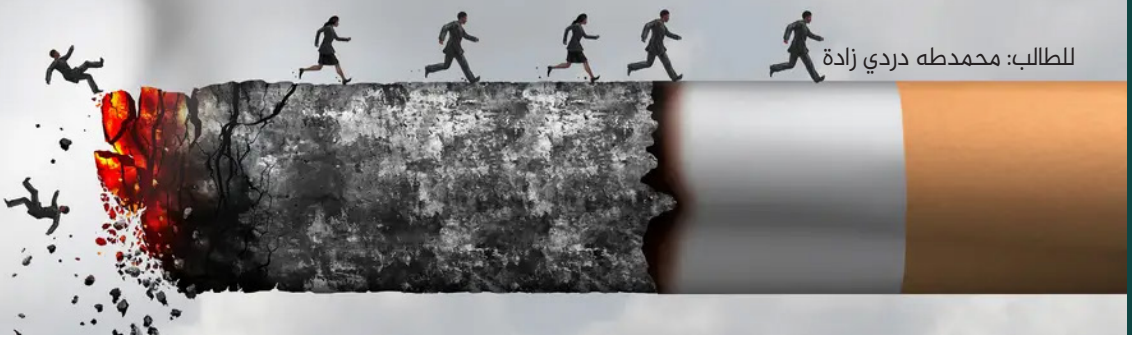

إننا قد جرّبنا في عصرنا هذا مشاكل واختلافات، وسيجرّبها الجيل القادم بعدنا. إن الله سبحانه وتعالى أخبر في كتابه بأن زمانًا سيأتي على الناس يعمّ فيه الفساد الأرض، وقد أخطا ظننا في معنى كلمة فساد؛ إن هذه الكلمه لا تدل على المعاصي فحسب، إن لها معنى عامًا يتضمن ويصدق على تصرفات كثيرة، وأنا أشير إلى واحد منها.

هناك سؤال لا بدّ أن يسأل كل واحد منا نفسه كلما تسمع كلمة الإدمان ماذا يخطر بباله؟!

نعم! إني كنت أفكر مثلكم، ولكن تفكيري هذا كان خاطئًا؛ لأن الإدمان لا ينحصر في تعاطي المواد الكيماوية. فإن كنت حتى الآن تفكّر نفس التفكير فهذا يدل على عدم إدراكنا معنى الإدمان، وهو في الحقيقة اعتياد الإنسان لشيء بحيث يصعب عليه تركه سواء أكان إنسانًا أم سيارة أم غير ذلك، فيصنع منه صنما يعبده ولا يتركه.

وللإدمان ألوان مختلفة، كالإدمان على التلفاز أو الجوال أو المخدرات، ومن أخطر أنواعها الإدمان على المعاصي، مثلًا اذا تعمّد الإنسان ترك صلاة واحدة ضاعت بعدها صلوات، وأخذ يرغب عن الأعمال الصالحة، فيضيّع حق الله، ويضرّم غضبه عليه، ويضهَد المظلومَ، ويُوقع بذلك نفسه في غموم وهموم لا أرجاء لها، ثم يرى نفسه تائهًا يخبط في ظلام حالك لا ملجأ له إلا الإدمان على شكل من أشكاله الكثيرة، فتصير حياته غناءً ورقصًا ولعبًا ولهوًا وأكلًا وشربًا ونومًا، حياة من نسي أنه سيُسال عن كل تصرف من تصرفاته في كل طرفة عين وعن كل دقيقه من دقائق الحياة وثوانيها.

وهناك سبب يلعب دورًا كبيرًا في دفع المرء نحو المعاصي وهو الكسل، وهو بنوعه من فروع الإدمان الكثيرة، ويمنع الإنسان من أن يقوم بأعماله ويصير متخلفًا في الأمور الأخروية والدنيوية، وهذا الانسان غير جدير بالثقة، وينظر الناس إليه بعيون الاحتقار، وايضا يتعرض لكثير من الأمراض منها: البدانة، وضعف العيون، توتّر الأعصاب، ومن الأشياء التي تُنمّي الكسل وتزيده وخامةً الجوال، وهو شبكة ألقاها الشيطان، ومن زخارف الدنيا، وهو كمرض متعدٍّ أحاط العالم بأسره وكسرطان أنشب مخالبه في جلود المجتمعات، وجعل الناس يضيّعون أوقاتهم معه في مشاهدة الصور والمقاطع السخيفة والأفلام الخليعة، وهم لا يستطيعون أن يغضوا أبصارهم، فبذلك يكون خسارة للإيمان ويبعد الناس عن الإسلام بكونه أكبر وسيلة لشبهات ألقاها اليهود، ووهو بوصفه أكبر وسيلة من وسائل الاتصال الحديث وأيسرها وأكثرها استخدامًا يهدّم عقائد الناس الإسلامية، ويجعلهم يترددون في أفكارهم ومعتقداتهم الدينية، ويوقعهم في فخ المعاصي.

نعم! فهذا من بعض أضرار الإدمان.

وأتحدث الآن من الادمان الذي كسر أزر مجتمعنا، وهي غمرة شديدة فادحة تعمّ شبابنا، والتخلص منها صعب أو متعذر، وهو داء عقّم مجتمعنا ألا وهو الادمان على المخدرات والأفيونات الكيمياوية والسجائر. كثرت نسبة المدخنين في الآونة الأخيرة، فقد أظهرت دراسات كثيرة أن التدخين يودي بالصحة؛ لأنه أخطر طاعون عرفه البشر، وهو انتحار بطيء، والمدخنون ينفقون أموالا كثيرة على المخدرات ولا يأخذون مقابل ذلك إلا ضررًا وخسارة، وتستهلك الدخانيات أكثر دخلهم، وهم يحرمون من يعولون مقوّمات حياتهم، ويمنعون أهل بَيتهم حوائجهم الضرورية، ولا يوفّرون لأولادهم ما ينمّيهم جسمًا وروحًا، فيهلكون جزءًا كبيرًا من أموالهم وصحتهم لأجل المخدرات التي تخدّر عقولهم ولا تعوّضهم إلا تبارًا.

ولماذا ابتلي الشباب بهذا المرض؟ هناك أسباب:

الأول: ضعف الصلة بالله تعالى، فإذا ربى الوالدان أولادًا يسلكون درب الصالحين لم يقعوا في هذه الورطة، فالصالح المتقي يكتفي بما أحل الله له

من الطيبات ويتجنب ما حرّم الله عليه.
الثاني: مرحلة المراهقة من أهم مراحل الحياة، وفي هذه المرحلة تظهر اختلافات عديدة في المراهق، فهو يبحث عن أمور مهيّجة وكثيرًا ما يختار لنفسه مسيرًا مخالفًا للصواب.
الثالث: مصاحبة أصدقاء سيئين يحرّضونه على المغامرة والمخاطرة.
الرابع: شِجار الولدين يجعل الولد مكتئبًا ويعرّضه للأخطار التي تهدّد سلامة جسمه وروحه.
ما هي سبيل النجاة من هذا المرض الفتاك الذي أحاط العالم بأسره؟ هناك حلول عديدة منها: تقوية العقائد الدينية وتعزيز العلاقة بالله سبحانه وتعالى ومعرفة نفسيات الشباب، وتربية أولاد صالحين واختيار جلساء صالحين لهم من العلماء والمصلحين وتجنيبهم من جلساء طالحين، وتوفير مجالات للعمل ينمو فيها الشاب نموًّا اقتصاديًّا، فإن كثيرًا من الشباب لجأوا إلى التدخين فرارًا من الظروف الاقتصادية الصعبة التي تحيط بهم. فهذه بعض الأسباب التي تبعد الشباب عن الإدمان، فعلى كل فرد من أفراد المجتمع أن يترك الإدمان بأنواعه وفروعه كلها، سواء منه ما عرف واشتهر باسم الإدمان والتدخين أو ما لم يُعرف ولم يُشتهر ولم يُعاقب ويُعيّر عليه أحد من إدمان العادات السيئة ومعاصي الخلوات التي هي أكبر سبب لإغلاق أبواب الرحمة والخير والبركة.

كم من عاشق لا يعشق...!!

للطالب: محمدعادل بالش زر

قال ابن القيم رحمه الله: إن العشق هو الإفراط في المحبة بحيث يستولي المعشوق على القلب من العاشق، حتى لا يخلو من تخيله وذكره والتفكير فيه، بحيث لا يغيب عن خاطره وذهنه، فعند ذلك تشتغل النفس بالخواطر النفسانية، فتتعطل تلك القوى، فيحدث بتعطيلها من الآفات على البدن والروح ما يعسر دواؤه، فيعجز البشر عن إصلاحه، العشق مبادئه سهلة حلوة، وأوسطه همٌّ وشغل قلب وسَقَمٌ، و آخره عطب وقتل، إن لم تتداركه عناية من الله كما قيل:
و عش خاليا فالحب أوله عنا...وأوسطه سقم وآخره قتلُ وأما دواء هذا الداء العضال:
وَدَوَاءُ هَذَا الدَّاءُ الْقَتَّالُ: أَنْ يَعْرِفَ أَنْ مَا ابْتُلِيَ بِهِ مِنْ هَذَا الدَّاءِ الْمُضَادِّ لِلتَّوْحِيدِ، إِنَّمَا هُوَ مِنْ جَهْلِهِ وَغَفْلَةِ قَلْبِهِ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى، فَعَلَيْهِ أَنْ يَعْرِفَ تَوْحِيدَ رَبِّهِ وَسُنَّتَهُ أَوَّلًا، ثُمَّ يَأْتِي مِنَ الْعِبَادَاتِ الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ بِمَا يَشْغَلُ قَلْبَهُ عَنْ دَوَامِ الْفِكْرَةِ فِيهِ، وَيُكْثِرُ اللَّجَأَ وَالتَّضَرُّعَ إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ فِي صَرْفِ ذَلِكَ عَنْهُ، وَأَنْ يُرَاجِعَ بِقَلْبِهِ إِلَيْهِ، وَلَيْسَ لَهُ دَوَاءٌ أَنْفَعُ مِنَ الْإِخْلَاصِ لِلَّهِ، وَهُوَ الدَّوَاءُ الَّذِي ذَكَرَهُ اللهُ فِي كِتَابِهِ حَيْثُ قَالَ: «كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ».(يُوسُفَ:24).
وَأَخْبَرَ سُبْحَانَهُ أَنَّهُ صَرَفَ عَنْهُ السُّوءَ مِنَ الْعِشْقِ وَالْفَحْشَاءَ مِنَ الْفِعْلِ بِإِخْلَاصِهِ، فَإِنَّ الْقَلْبَ إِذَا أَخْلَصَ وَأَخْلَصَ عَمَلَهُ لِلَّهِ لَمْ يَتَمَكَّنْ مِنْهُ عِشْقُ الصُّوَرِ فَإِنَّهُ إِنَّمَا يَتَمَكَّنُ مِنْ قَلْبٍ فَارِغٍ، كَمَا قَالَ:
أَتَانِي هَوَاهَا قَبْلَ أَنْ أَعْرِفَ الْهَوَى ... فَصَادَفَ قَلْبًا خَالِيًا فَتَمَكَّنَا
وَلْيَعْلَمِ الْعَاقِلُ أَنَّ الْعَقْلَ وَالشَّرْعَ يُوجِبَانِ تَحْصِيلَ الْمَصَالِحِ وَتَكْمِيلَهَا، وَإِعْدَامَ الْمَفَاسِدِ وَتَقْلِيلَهَا.
وَمِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّهُ لَيْسَ فِي عِشْقِ الصُّوَرِ مَصْلَحَةٌ دِينِيَّةٌ وَلَا دُنْيَوِيَّةٌ، بَلْ مَفْسَدَتُهُ الدِّينِيَّةُ وَالدُّنْيَوِيَّةُ أَضْعَافُ أَضْعَافِ مَا يُقَدَّرُ فِيهِ مِنَ الْمَصْلَحَةِ، وَذَلِكَ مِنْ وُجُوهٍ:
أَحَدُهَا: الِاشْتِغَالُ بِحُبِّ الْمَخْلُوقِ وَذِكْرِهِ عَنْ حُبِّ الرَّبِّ تَعَالَى وَذِكْرِهِ، فَلَا يَجْتَمِعُ فِي الْقَلْبِ هَذَا وَهَذَا إِلَّا وَيَقْهَرُ أَحَدُهُمَا الْآخَرَ، وَيَكُونُ السُّلْطَانُ وَالْغَلَبَةُ لَهُ.
الثاني: عذاب قلبه به، فَإِنَّ مَنْ أَحَبَّ شَيْئًا غَيْرَ اللَّهِ عُذِّبَ بِهِ وَلَا بُدَّ، و العشق إن استعذبه صاحبه، فهو من أعظم عذاب القلب.
الثالث: أن العاشق قلبه أسير في قبضة معشوقه يسومه الهوان، ولكن لسكرة العشق لا يشعر بمصابه.
فعيش العاشق عيش الأسير الموثق...
الرابع: أنه يشتغل به عن مصالح دينه ودنياه، فليس شيء أضيع لمصالح الدين والدنيا من عشق الصور. أما مصالح الدين فإنها منوطة بلم شعث القلب وإقباله على الله تعالى، وعشق الصور أعظم شيء تشعيثاً وتشتيتاً له، وأما مصالح الدنيا فهي تابعة في الحقيقة لمصالح الدين، فمن انفرطت عليه مصالح دينه وضاعت عليه، فمصالح دنياه أضيع وأضيع.

القرطاسية: كلمة عربيه تعني جميع الأدوات المدرسية والمكتبية مثل الأقلام والبرايات والكراسات والممسحة

قلم رصاص أو (الكربوني)
من أهم الأدوات الكتابية ويتميز بالقدرة على المسح وتصحيح الاخطاء باستخدام المحاة ويتميز بإمكانية التقليم والبري.

القلم الكباس (القلم الرصاص ذو السنون)
هو نوع من أنواع قلم الرصاص يتميز بإمكانية إعادة تعبئته بالأعواد الكربونية حيث يمكن استخدامه لفترات طويلة.

أقلام تلوين خشبية
هي أقلام تشبه في تكوينها القلم الرصاص إلا أنها تتميز أعوادها بالألوان المختلفة حيث تستخدم في تلوين الرسومات وهي شائعة بين الأطفال.

أقلام تحديد ملونة
هي أقلام لها حجم كبير، ورأس عريض نسبيًا، وألوان فاتحة وخفيفة لا تطمس الكتابه تحتها، وتستخدم لتحديد بعض الفقرات أثناء المذاكرة والقراءة.

خرّامة ورق
هي أداة تستخدم لإحداث ثقب أو أكثر في الورق ليتم تثبيته داخل الملف.

مِقلَمة، مَقلَمة
صندوقة صغيرة توضع فيها أقلام الكتابة

البراية
هي أداة تحتوي على شفرة او شفرتين تستخدم لتقليم سنّ أقلام الرصاص والألوان الخشبية.

الدبّاسة
هي أداة تستخدم لتثبيت الأوراق بعضها على بعض عن طريق دبابيس معدنية صغيرة توضع في مكان مخصص بها.

دبابيس
هي أجسام معدنية صغيره تستخدم عن طريق الدبّاسة لتثبيت الأوراق باختراقها وثني الأطراف.

قلم التصحيح:
قلم ذو قوام بلاستيكي يحتوي على سائل أبيض اللون، يستخدم لتصحيح الأخطاء التي لا يمكن محوها.

مشبِّك ورق
هو أداة صغيرة الحجم معدنية تستخدم للتثبيت المؤقت للورق وتتميزه بسهولة

عدسة مكبِّرة
أداة تستخدم لتكبير الكلمات والأشياء الدقيقة والصغيرة لرؤية تفاصيلها بوضوح ولها مقبض بلاستيكي متصل

شريط لاصق
شريط بلاستيكي يُستخدم للصق الأوراق بعضها ببعض

دار السلام وأرض الهنا

دِيارُ السَلامِ وَأَرضُ الـهَـنا ... يَشُقُّ عَلى الكُلِّ أَن تَحزَنا

فَخَطبُ فِلِسطينَ خَطبُ العُلى ... وَما كانَ رِزءُ العُـلى هَيِّنا

يُريدُ اليَهودُ بِأَن يَصـلُبوهـا ... وَتَأبى فِلِسطينُ أَن تَذعَنا

وَتَأبى المُـروءةُ فـي أَهلِها ... وَتَأبى السُيوفُ وَتَأبى القنا

أَأَرضُ الخَـيالِ وَآياتِـهِ ... وَذاتُ الجَلالِ وَذاتُ السَنا

تَصيرُ لِغَوغـائِهِم مَسرَحاً ... وَتَغدو لِشُذّاذِهِم مَكمَنا

وَجادوا بِكُلِّ الَّذي عِندَهُـم ... وَنَحنُ سَنَبذُلُ ما عِندَنا

فَقُل لِلـيَهودِ وَأَشيـاعِهُم ... لَقَد خَدَعَتكُم بُروقُ السَنا

أَلا لَيتَ بِلـفورَ أَعـطاكُم ... بِلاداً لَـهُ لا بِلاداً لَـنا

فَلندنُ أَرحَـبُ مِن قُدسِنا ... وَأَنتُم أَحَـبُّ إِلى لندنا

فَلَيسَت فِلِسطينُ أَرضاً مَشاعاً ... فَتُعطى لِمَن شاءَ أَن يَسكُنا

فَإِن تَطلُبـوها بِسُمرِ القَنا ... نَرُدكُـمُ بِطِـوالِ القَـنا

وَإِن تَهجُـروها فَذَلِـكَ أَولى ... فَإِنَّ فِلِـسطينَ مُلكٌ لَنا

وَكانَت لِأَجـدادِنا قِبلَـةً ... وَتَبقى لِأَحـفادِنا بَعدَنا

فَلا تَحسَبوها لَكُـم مَوطِناً ... فَلَم تَكُ يَوماً لَكُـم مَوطِنا

وَلَيسَ الَّـذي نَبتَغيهِ مُحالاً ... وَلَيسَ الَّذي رُمتُمُ مُمكِنا

نَصَحنـاكُمُ فارعَـوواوَانبذوا ... بُلـيفورَ ذيّالِكَ الأَرعَـنا

وَإِمّا أَبَيـتُم فَأوصـيكُمُ ... بِأَن تَحمِلوا مَعكُمُ الأَكفُنا

فَإِنّا سَنَجعَـلُ مِن أَرضِـها ... لَنا وَطَـناً وَلَكُم مَـدفَنا

للشاعر إيليا أبو ماضي

AL-ANVAR 35
journal of: HOZE ELMI YE ANVAROL OLOOM
KHEYR ABAD . TAYBAD

إلى القرّاء الكرام

مجلّة الأنوار تصدر برئاسة الشيخ عبدالمجيد رجبعلي زاده وتحت إشرافه وتوجيهاته وهو عرف منذ باكورة مساعيه العلمية و الدعوية بالمرونة والتوسّط والتحرّز عن أي فكر يحمل إفراطاً وتفريطاً في الدين ولا يزال يدعو إلى ذلك بمواعظه ونصائحه ويسعى أن يدرّب الجيل الجديد وأصحاب القلم على مجانبة أي اصطدام فكري وعقائدي مع الفرق الأخرى وهو مع ذلك يتألّم لأوجاع العالم الإسلامي ويهتمّ بأمور المسلمين لتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الكفر هي السفلى، ويرى أن المدارس الدينيّة معاقل حصينة لصيانة حقيقة الإسلام ونشر التعاليم الصحيحة المستنبطة من القرآن والسنّة والصدع بالحق وتوجيه الشعب نحو الأهداف المنشودة الحقّة وإنقاذه عن الانحرافات والضلالات.

فالمجلّة من هذا المنطلق تحتضن أهدافاً تدعو إليها بالقلم وهي كالتالي:

- التصوير الدقيق للإسلام وتبليغ الكتاب والسنة
- الدعوة إلى التوسط والاعتدال في الفكر والعقيدة
- توعية الأمة لمواجهة الحركات الهدامة كالاستشراق والتبشير
- تثقيف الجيل الجديد وتربيته تربية ثقافية إيمانية إسلامية بحيث يجيب بكافة حاجات المجتمع ويوائم مع مستجدات العصر
- إحياء تراث خراسان الثقافي والتعريف برجالها من الدعاة والمحدثين والمفسرين والفقهاء واللغويين
- أداء الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالقلم
- الدعوة إلى اتحاد جميع الاتجاهات الدينية
- إعادة الثقة إلى نفوس الشباب بأن الإسلام لا يزال غضاً طرياً لا تبلى جدته